بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة المدينة العالمية – ماليزيا
كليه الدراسات الإسلامية
قسم التفسير و علوم القرآن
الدراسات العليا

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير
بعنوان سورة البروج
دراسة تحليلية موضوعية

إعداد الطالب / إبراهيم محمد احمد البشير(أبوسبيب)
إشراف الدكتور / محمد سعيد الغزال

١٤٣٢ – ٢٠١١ م

مقدمة البحث

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، قيماً لينذر باساً شديداً من لدنه ، و يبشر المؤمنين الذي يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، واشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ، و أشهد أن سيدنا محمد عبده و رسوله ، صلوات الله و سلامه عليه وعلى آله و صحبه ومن سار على نهجه و اتبع سنته إلى يوم الدين .

أما بعد .....

فإن الله سبحانه و تعالى رحمة بعباده أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب ، ومن فضل الله علينا أن أرسل إلينا خاتم أنبيائه وأنزل عليه خير كتبه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور و جعله هدى و برهاناً ، و يسره للتلاوة و الذكر و حفظه من التغيير و التبديل و قيض له من العلماء – على مر العصور – من يفسره و يبينه للناس ويرد عنه كيد الكائدين و إلحاد الملحدين .

و كلام الله عز وجل جدير بهذا الاهتمام و الاشتغال به من أشرف المهام ، فهو أصل العلوم و أفضلها ويدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى عليه و سلم قال : خيركم من تعلم القرآن و علمه " [١] .

وقد ألف العلماء – السابقون والمتأخرون – في مجال التفسير الشيء الكثير ، إلا أن كتاب الله تعالى معين لا ينضب ولا تنقضي عجائبه وقد أحببت أن أكون احد الباحثين في هذا المجال العظيم و اخترت بحثاً تكميلياً لنيل درجة الماجستير بعنوان "سورة البروج دراسة تحليلية و موضوعية " سائلاً الله عز وجل أن يوفقني لفهم كلامه و تدبره و العمل به و الدعوة إليه و الصبر على الأذى فيه و أن يجعلني – برحمته – من أهل القرآن

---

(١) صحيح البخاري ، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٤٣٨/١٥)

الذين هم أهله و خاصته ، إنه جواد كريم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و سلم .

أسباب اختيار الموضوع و أهمية و أهدافه :

١- طلباً للأجر و الثواب من الكريم الوهاب منزل الكتاب .

٢- ما اشتملت عليه سورة البروج من أمور عقدية مهمة و اشتمالها على جملة من سماء الله تعالى و صفاته و التي تزيد من معرفة العبد بربه ، و تقوي الإيمان و تملأ القلب تعظيماً لله و خوفاً منه .

٣- ما تناولته هذه السورة من قصة أصحاب الأخدود و صبرهم أمام الفتن ، وفي ذلك عبرة لجميع المؤمنين الذين يتعرضون لشتى أنواع الفتن في هذا الزمان ، الذي تسلط فيه الكفار على المؤمنين في مختلف البلدان من أجل صدهم عن دينهم .

٤- عدم تناول هذه السورة – على حسب علمي – من قبل كدراسة مستقلة بهذا المنهج كدراسة تحليلية و موضوعية .

٥- ما اشتملت عليه السورة من تنويه بشأن القرآن و أنه قرآن مجيد في لوح محفوظ .

الدراسات السابقة :

١-التفاسير السابقة للقرآن الكريم وهي – بلا شك – تتضمن تفسير سورة البروج وكل مفسر يتناولها على حسب منهجه و في الغالب يكون التركيز فيها على بعض الجوانب و إهمال او اختصار الجوانب الاخرى أو تناول السورة بصورة عامة ، وهذا لا يغني عن تناول السورة بدراسة تفصيلية و شاملة .

٢-تفاسير جزء عم كتفسير جزء عم للشيخ محمد صالح العثيمين و الشيخ مساعد الطيار وهي أيضاً تتضمن سورة البروج بسورة غير شاملة لكل الجوانب المتعلقة بالتفسير التحليلي و الموضوعي للسورة .

٣-تم تناول السورة أو بعض آياتها من قبل بعض الكتاب ، منهم على سبيل المثال الدكتور زغلول النجار في كتابه (تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم) و مثل هذه الكتابات لا يغني عن تناول السورة بدراسة مفصلة و شاملة .

صلة البحث بالدراسات السابقة :

ما لا شك فيه أنني سأستفيد من جهود العلماء و الكتاب السابقين وسأعمل على جمع أقوالهم و ترتيبها ومقارنتها والترجيح بينها في حال الاختلاف و ذلك لإعطاء صورة متكاملة لفهم السورة الكريمة .

الجوانب العلمية الإضافية :

١- تناول سورة البروج بصورة مفردة و دراستها دراسة تحليلية و موضوعية شاملة .

٢- ربط السورة بواقع المسلمين في الوقت الحاضر .

منهجي في البحث :

١- الالتزام بقواعد التفسير بالمأثور من حيث تفسير القرآن بالقرآن و السنة و أقوال الصحابة و التابعين .

٢- الالتزام بالضوابط التي وضعها العلماء لقبول التفسير بالرأي المحمود .

٣- عزو الآيات الى سورها بذكر اسم السورة و رقم الآية و ذلك في صلب الموضوع ماعدا سورة البروج فإنني سأكتفي بذكر رقم الآية فقط .

٤- عزو الأحاديث و الآثار وذكر أقوال أهل العلم في الحكم عليها ما عدا أحاديث الصحيحين فإنني سأكتفي بالعزو إليهما أو لأحدهما .

٥- بيان معاني المفردات الغريبة الواردة في البحث .

٦- ترجمة الأعلام الغير مشتهرة .

منهجي في تفسير السورة :-

١- تقسيم السورة الكريمة الى مقاطع متناسبة في المعنى .

٢- دراسة كل مقطع دراسة تحليلية شاملة من حيث بيان معاني المفردات و الإعراب و البلاغة و أسباب النزول و القراءات المؤثرة في التفسير و أقوال أهل العلم فيها و المعنى الإجمالي و الفوائد المستنبطة منها والإعجاز العلمي مع الأخذ في الاعتبار أن جميع هذه الجوانب ربما لا يتوفر في جميع المواضع فنكتفي بذكر ما وجد منها .

٣- ذكر مناسبة السورة لما قبلها و بعدها و ذكر المناسبة بين مقاطع السورة وبين آياتها .

٤- دراسة المواضيع التي اشتملت عليها السورة دراسة موضوعية و محاولة الربط بين هذه الموضوعات و ذكر الادلة عليها من الكتاب و السنة .

خطة البحث :

تم تقسيم هذا البحث الي مقدمة وثلاثة أبواب وتحت كل باب فصول وهـــذه الفصـــول مقسمة إلي مباحث ،وفي نهاية البحث الخاتمة والفهارس .

أولا : المقدمة :

واشتملت علي أسباب إختيار البحث ومنهجي في هذا البحث وتفسير السورة وخطة البحث .

ثانيا : موضوع البحث وهو مقسم إلى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : بين يدي السورة ومناسباتها وفيه فصلان .

الفصل الأول : بين يدى السورة وفيه أربعة مباحث .

المبحث الأول : اسم السورة وسبب تسميتها وفضلها .

المبحث الثاني : زمن نزول السورة وعدد اياتها .

المبحث الثالث : الأجواء التي نزلت فيها السورة .

المبحث الرابع : المحور الرئيسي للسورة وعلاقته باسمها .

الفصل الثاني : المناسبات في سورة البروج وفيه أربع مباحث .

المبحث الأول : كلمة حول علم المناسبات وأهميته .

المبحث الثاني : مناسبة سورة البروج لسورة الانشقاق .

المبحث الثالث : مناسبة سورة البروج لسورة الطارق .

المبحث الرابع : مناسبة مقاطع السورة مع بعضها البعض ومناسبة افتتاحياتها لخاتمتها .

الباب الثاني : التفسير التحليلي للسورة .

وفية ثلاثة فصول :-

الفصل الأول : كلمة عن تفسير التحليلي وإقسام الله تعالى ببعض مخلوقاته وجـــواب القسم

المبحث الاول : كلمة عن التفسير التحليلي .

المبحث الثاني : إقسام الله تعالي بالسماء .

المبحث الثالث : إقسام الله تعالي باليوم الموعود .

المبحث الرابع : إقسام الله تعالي بالشاهد والمشهود وجواب القسم .

الفصل الثانى : قصة أصحاب الأخدود وما اعده الله للمؤمنين والكافرين مـــن وعـــد ووعيد وفيه مبحثان :

المبحث الأول : قصة أصحاب الأخدود .

المبحث الثاني : وعد ووعيد

الفصل الثالث : بعض من صفات الله تعالى وذكر فرعون وثمود وغيرهم من المكـــذبين والتنوية بشأن القرآن العظيم وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : بعض من صفات الله عز وجل .

المبحث الثانى : ذكر فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين .

المبحث الثالث : التنويه بشأن القرآن العظيم .

الباب الثالث : التفسير الموضوعي للسورة

وفيه ثلاثة فصول

الفصل الأول : كلمة عن التفسير الموضوعي وبعض أحكام القسم وفية مبحثان :

المبحث الأول : كلمة عن التفسير الموضوعي .

المبحث الثاني : القسم في القرآن والحكمة منه وأنواعه وبعض أحكامه .

الفصل الثاني : الفتنة والتوبة وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الفتنة

المبحث الثاني : التوبة

الفصل الثالث : أسماء الله تعالى وصفاته الواردة في السورة وصفة العـــرش والقـــرآن الكريم واللوح المحفوظ

وفية ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الأسماء والصفات الواردة في السورة .

المبحث الثاني : صفة العرش .

المبحث الثالث : القرآن الكريم واللوح المحفوظ .

الباب الأول : بين يدي السورة ومناسبتها

الفصل الأول : بين يدي السورة وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول : اسم السورة وسبب تسميتها وفضلها

أولا : تعريف السورة :

السورة اصطلاحاً : طائفة مستقلة من آيات القران ذات مطلع ومقطع [1] .

وذكر بعض العلماء في اصطلاح السورة : أنها طائفة من آيات القران جمعت بعضها الى بعض [2] .

ثانياً:اسم السورة وسبب تسميتها :

قبل أن نذكر أسماء هذه السورة هناك مسألة:هل أسماء السورة توقيفية ؟

جمهور العلماء على أن أسماء السور توقيفية حيث كان جبريل عليه السلام يعلم النبي صلى الله علية وسلم أن يضع آية كذا في موضع كذا من سورة كذا ،قال السيوطي : وقد ثبت جميع السور بالتوقيف من الاحاديث والاثار [3] ، والإمام السيوطي يقصد بذلك الاسماء التوقيفية التي اشتهرت بها السورة وان وجدت بعض الاسماء الاجتهادية التي وضعها الصحابة رضى الله عنهم فقال رحمة الله : "ظاهره أنه لا يجوز إلا بتوقيف من النبي صلى الله علية وسلم والمراد الاسم الذى تذكر به السورة وتشتهر وإلا فقد سمى جماعة من الصحابة والتابعين سوراً بأسماء من عندهم كما سمى حذيفة التوبة بالفاضحة وسورة العذاب ...." [4] .

---

(1) مناهل العرفان للزرقانى (١/٣٥٠)

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم لأبي شهبة ص ٢٨٥.

(3) الإتقان للسيوطى (١/١٤٩)

(4) التحبير في علم التفسير ص ١٧١

وبناء علي هذا التقسيم فيمكننا أن نقول : إن لسورة البروج اسمان : أحدهما : تـوقيفي ، والآخر : اجتهادي .أما الاسم التوقيفي : سورة البروج : وهو مأخوذ من قولة تعـالي : " والسماء ذات البروج " وقد اشتهرت بهذا الاسم في المصاحف وكتب التفسير والسنة .

وسبب التسمية ظاهر وذلك لأن الله تعالي افتتح هذه السورة الكريمة بالقسم بالسماء ذات البروج .

والاسم الاجتهادي : سورة السماء ذات البروج وقد جاءت هذه التسمية عن جابر ابـن سمرة رضي الله عنه " أن النبي صلى الله علية وسلم كان يقرأ في الظهر والعصر بالسـماء والطارق والسماء ذات البروج " [1] .

وسبب التسمية بهذا الاسم ظاهر ايضاً لأنه تسمية للسورة بأول جملة فيها من غير ذكـر لواو القسم .

ثالثاً : فضل سورة البروج:

مالا شك فيه أن جميع سور القرآن فاضلة وشريفة ويكفيها شرفاً أنها كلام الله عز وجل .

ومما جاء في فضل هذه السورة بعينها: حرصه صلوات الله وسلامه عليه على قرآءتهـا في الصلوات كما جاء في حديث جابر الذى ذكرناه قبل قليل .

وقد روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم " أمر أن يقرأ بالسماوات في العشاء " [2]

---

(1) سنن أبي داود (٨٠٥) ومسند الطيالسي (٧٧٤) وسنن النسائي (٩٨٠) والترمذي (٣٠٧) ومسند الإمام أحمد (٢١٠٠٩) وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٥٢/١) .

(2) المسند (٧٨/١٤) حديث رقم ٨٣٣٣ وفيه ضعف

المبحث الثاني :زمن نزول السورة وعدد آياتها

أولاً : زمن نزول السورة

اتفق العلماء علي أنها سورة مكية

الآلوسى في روح المعاني : " لا خلاف في مكيتها " [١]

" وهى مكية بالإجماع ونزلت بعد سورة الشمس " [٢]

وروي الإمام السيوطي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : " نزلت والسماء ذات البروج بمكة " [٣].

وقد ذكر العلامة الزركشي أن سورة البروج نزلت بعد " والشمس وضحاها "ونزلت قبل سورة التين [٤].

أما ترتيبها في المصحف فهي السورة الخامسة والثمانون بعد سورة الانشقاق وقبل سورة الطارق .

ثانياً : عدد آياتها:

اتفق العلماء ايضاً على أن آيات سورة البروج اثنتان وعشرون آية .

وقد ذكرها الإمام السيوطي في القسم الأول من السور التي لم يختلف في عدد آياتها لا إجمالا ولا تفصيلاً وهى أربعون سورة منها: (سورة البروج ، اثنتان وعشرون).(٥)

قال الآلوسي : " لا خلاف في مكيتها ولا في كونها اثنتي وعشرين آية " (٦) [٥].

([١]) روح المعاني (٨٤/٣٠)

([٢]) تاريخ نزول القرآن الكريم للدكتور محمد رأفت سيد ص ٢١٣) .

([٣]) الدر المنثور (ص (٣٢٧/١٥)

([٤]) البرهان للزركشي (١٩٣/١)

([٥]) الاتفاق للسيوطي ص (١٩٠/١)

(٦) روح المعاني (٨٤/٣٠)

يقول ابن عاشور : وسميت في المصاحف وكتب السنة وكتب التفسير " سورة الـــبروج" وهى مكيه باتفاق ومعدودة السابعة والعشرين في تعداد نزول السور ، نزلت بعد سورة " والشمس وضحاها " وقبل سورة التين وآياها اثنتان وعشرون آية " [1] .

---

(1) التحرير والتنوير لابن عاشور (٢٣٦/٣٠)

المبحث الثالث : الأجواء التي نزلت فيها السورة:

هذه السورة نزلت في مكة قبل الهجرة تسلية للنبي صلي الله علية وسلم وأصحابه عن إيذاء الكفار لهم .

وقد تعرض النبي صلى الله علية وسلم لشتى صنوف الأذى ولقي اصحابه انواعاً من التعذيب ويدل علي ذلك ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلي الله علية وسلم : لقد أوذيت في الله ومايؤذى أحد واخفت في الله وما يخاف أحد " [1]

وهذا الابتلاء والاختبار من الله تعالي لنبيه صلي الله علية وسلم لقوة إيمانه لأن الناس يبتلون علي قدر دينهم ومن أجل رفعة درجته وكذاك أصحابة رضي الله عنهم .

وقد وصف الدكتور أبو شهبه الأجواء التي نزلت فيها سورة البروج اثناء الفترة المكيه فقال : " لايكاد التاريخ يعرف قوماً ابتلوا بألوان البلاء وفتنوا أشد الفتنة مثل ماعرف ذلك لأصحاب نبينا محمد صلي الله عليه وسلم فقد عذبوا عذاباً تنوء به الجبال وأوذوا في سبيل عقيدتهم ودينهم أشد الايذاء ولا سيما الأعبد والضعفاء منهم ، وليس هذا بعجيب من قوم خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان من أول يوم اعتنقوا فيه الاسلام .

ثم ذكر رواية ابن عباس التي رواها عنه ابن إسحاق : قال سعيد بن جبير : قلت لابن عباس : أكان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلي الله علية وسلم من العذاب مايعذرون به في ترك دينهم ، قال : نعم والله إن كانوا ليضربون أحدهم ويجيعونه ويعطشونه حتى ما يقدر ان يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به حتي يعطيهم ما سألوه من الفتنة ، حتي يقولوا له : اللات والعزى إلهك من دون الله ، فيقول : نعم ، افتداء منهم مما يبلغون من جهدة " [2] ولذلك عذرهم الله تعالي في قوله : {من كفر بالله

(1) فتح الباري (١٦٦/٧) .

(2) السيرة النبوية لمحمد أبوشهبة (٣٣٩/١- ٣٤١)

من بعد ايمانه إلا من أكرة وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم (النحل :١٠٦)

وهذا من رحمة الله تعالي بعباده لأنه يعلم ما فيهم من الضعف ولذلك " وفي بعض ساعات الضعف الإنساني كانوا – أي الصحابة – يأتون إلى النبي صلي الله عليه وسلم شاكين ما يجدونه من شدائد وتعذيب فبضرب لهم الأمثال ويعظهم ويذكرهم فيرجعون راضين مطمئنين صابرين علي البلاء ، روي عن خباب بن الأرت أنه قال : أتيت النبي صلي الله عليه وسلم فقلت: ألا تدعوا الله لنا ؟ فقعد وهو محمر الوجه وقال : قد كان من قبلكم ليمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء الي حضرموت ما يخاف الا الله عز وجل والذئب علي غنمه وفي رواية " ولكنكم تستعجلون [١] ، [٢] .

ففي مثل هذه الأجواء القاسية والكرب المتوالية كان القرآن الكريم يترل تباعاً ليثبت قلب النبي صلي الله عليه وسلم وقلوب أصحابه ومن ذلك سورة البروج التى اشتملت على عبر وعظات ، كقصة أصحاب الأخدود والتي فتن فيها أولئك المؤمنون فتنة عظيمة وحرقوا بالنار فما صدهم ذلك عن دينهم ، وقد استفاد الصحابة رضي الله عنهم من هذه العبر فثبتوا على دينهم حتي نصرهم الله عز وجل وأعلي شأنهم وأبدل خوفهم أمناً ومكن لهم دينهم الذي ارتضي لهم .

وقد ضرب الصحابة رضي الله عنهم مثلا في الصبر و الثبات ومن ذلك ثبات خبيب الأنصاري وصبره على القتل من غير أن يتزحزح عن دينه وكان يقول:

ما أبالي حين أقتل مسلماً   علي أي شق كان لله مصرعي
وذلك في شأن الله وإن يشأ   يبارك علي أوصال شلو ممزع [٣]

([١]) البخاري :باب ما لقي النبي صلى الله عليه وأصحابه من المشركين بمكة (٣٨٥٢) (٢٠٧/٧).

([٢]) السيرة النبوية لأبى شهبة (٣٤١/١) .

([٣]) البخاري مع الفتح (٤٧٣/٧) حديث رقم (٤٠٨٦) .

ولا يزال المؤمنون علي مر الأيام والدهور يفتنون في دينهم مصداقاً لقولـــة تعــالي : " الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله صدقوا وليعلمن الكاذبين(العنكبوت (١-٣).

ومن هنا تظهر أهمية دراسة السيرة النبوية و تأمل القصص القرآنية التي تزيد الإيمان وتقـــوي اليقين،وتحث على الثبات على الحق والصبر على الأذى فيه حتى يأتي النصر مـــن الله العزيـــز الحكيم أو يلقي العبد ربه وهو علي الإيمان.

المبحث الرابع : المحور الرئيسي للسورة وعلاقته باسمها

أولاً : المحور الرئيسي للسورة :-

فيما يظهر – والله اعلم – أن المحور الأساسي لهذه السورة هو قصة أصحاب الأخدود ، وما اشتملت عليه من عظات وعبر تسلية للمؤمنين وقد أقسم الله سبحانه وتعالي ببعض مخلوقاته في افتتاحية السورة لينبه على عظمتها التي تدل علي قدرته وتشويق السامعين لما يرد بعد القسم من أخبار وقصص .

قال ابن عاشور : " ابتدأت أغراض هذه السورة بضرب المثل للذين فتنوا المسلمين بمكة بأنهم مثل قوم فتنوا فريقاً ممن آمن بالله فجعلوا اخدوداً من نار لتعذيبهم ليكون المثل تثبيتاً للمسلمين وتصبيراً لهم علي أذي المشركين وتذكيرهم بما جري علي سلفهم في الإيمان من شدة التعذيب الذي لم ينلهم مثله ولم يصدهم ذلك عن دينهم وإشعار المسلمين بان قوة الله عظيمة فسيلقى المشركون جزاء صنيعهم ويلقى المسلمون النعيم الأبدي والنصر " [١]

وقد ذكر الشيخ وهبه الرحيلي في مقدمة تفسيره لسورة البروج تحت عنوان (قصة أصحاب الأخدود) – وفي هذا إشارة منه إلى أن المحور الرئيسي للسورة يدور حولها – فقال : " إن الصراع بين الحق والباطل وبين الإيمان والكفر قديم وعويص وخطير حتى إنك تجد أهل الباطل يرتكبون أكبر الجرائم وأخطرها في سبيل نصرة باطلهم ولكنهم في النهاية تكون الخيبة والخسارة والدمار عليهم وينتصر الحق وأهله ويندحر الباطل وجنده " [٢].

وكذلك نجد الفخر الرازي يعتبر أن الغرض الأساسي من سورة البروج هو تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بذكر هذه القصة العجيبة وما جاء بعدها من ذكر فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين ، حيث يقول : " اعلم أن المقصود من هذه السورة تسلية النبي

([١]) التحرير والتنوير (٢٣٦/٣٠)

([٢]) التفسير الوسيط للزحيلي (٢٨٥١/٣)

صلي الله علية وسلم واصحابه عن ايذاء الكفار وكيفية تلك التسلية هي أنه تعالي بين أن سائر الأمم السالفة كانوا كذلك مثل أصحاب الأخدود ومثل فرعون وثمود ، وختم ذلك بأن بين أن كل الكفار كانوا في تكذيب " [1] وجاء في التفسير الموضوعي ما نصه : " ومحور هذه السورة الفتن وتسلية المؤمنين بأن ما أصابهم قد أصاب غيرهم ما هو أكثر منه " [2] .

ثانياً : علاقة اسم السورة بمحورها الرئيسي :

جاء في التفسير الموضوعي أيضاً في ما يتعلق بعلاقة اسم سورة البروج بمحورها الرئيسي ما يلي : " ومناسبة اسم السورة لمحورها هي – والله أعلم – أن البروج المصاعد أو المنازل أو هي النجوم العالية التي تتدرج في العلو حتي تصل الي فضاء في غاية البعد وأن الحادث الذي وقع بيانه في هذه السورة قد بلغ الشناعة مبلغاً متطاولاً في أخلاق البشر ،بحيث لا يكاد أحد يصدقه لولا وقوعه ، تهويلاً له وتشنيعاً بأهله .[3]

قال ابن عاشور : " ومناسبة القسم لما أقسم عليه أن المقسم علية تضمن العبرة بقصة أصحاب الأخدود ، ولما كانت الأخاديد خطوطاً مجعولة في الأرض مستعرة بالنار أقسم على ما تضمنتها بالسماء بقيد صفة من صفاتها التى يلوح فيها للناظرين في نجومها ما سماه العرب بروجاً وهي تشبه دارات متلألئة بأنوار النجوم اللامعة الشبيهة بتلهب النار"[4].

فالإمام ابن عاشور يرى أن العلاقة بين البروج وقصة أصحاب الأخدود هي جامع الشبه بين أنواع النجوم ولمعانها واتقاد نار الأخدود وتلهبها .

([1]) التفسير الكبير (١١٣/٣١) .

([2]) التفسير الموضوعي لنخبة من العلماء – جامعة الشارقة (٨٧/٩)

([3]) المرجع السابق ص ٨٧ ، ٨٨ .

([4]) التحرير والتنوير ص ٢٣٧

الفصل الثاني :المناسبات في سورة البروج

المبحث الأول : كلمة حول علم المناسبات وأهميته

أولا : تعريف علم المناسبات

المناسبة لغة : مصدر ناسب يناسب مناسبة ، ومادة (ن س ب) تدور حول معنى الاتصال ومنه النسب [1] .

فالمناسبة لغة تعنى الاتصال والمقاربة والمماثلة

واصطلاحاً : مناسبات القرآن العظيم هي المعني الذي يربط بين سوره وآياته [2] .

وعلم المناسبات : هو معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض [3] .

وعرفه الإمام البقاعي بقوله : " علم تعرف منة علل ترتيب أجزاء القرآن " [4] .

ثانياً: نشأة هذا العلم :

علم المناسبات كغيره من العلوم الشرعية فإن مبدأه كان في عهد النبي صلي الله علية وسلم ثم توسع بعد ذلك ويدل على ذلك ما رواه جابر بن عبد الله في صفة حجة النبي صلى الله علية وسلم فقال : " ...ثم خرج من الباب إلى الصفا ، فلما دنا من الصفا قرأ: " إن الصفا والمروة من شعائر الله(البقرة:١٥٨) ، وقال : أبدأ بما بدأ الله به ، فبدأ بالصفا " [5] .

فالرسول صلى الله علية وسلم بدأ بالصفا مراعاة لترتيب الآية وهذا يعتبر من علم المناسبات .

ثالثاً : حكمه :

---

(1) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٢٣/٥)

(2) الاتفاق (٣٠١/٢) .

(3) علم المناسبات في السور والآيات للدكتور محمد بازمول ص ٢٧

(4) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٦/١)

(5) صحيح مسلم باب حجة النبي حديث رقم (٢١٣٧) (٢٤٥/٦)

هو علم اجتهادي وليس توقيفياً بل يعتمد على اجتهاد المفسر ومبلغ درايته بعلوم العربية والبلاغة والشريعة وتذوقه للأساليب وأوجه بيانها ويعتمد أيضا على مبلغ رهافة حسه لإعجاز القرآن وأسراره في النظم واللفظ والمعنى " [١].

يقول الإمام الزركشي : واعلم أن المناسبة علم شريف تحزر فيه العقول ويعرف به قدر القائل فيما يقول ولهذا قيل : المناسبة أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول "[٢]

وقد أنكر بعض العلماء التوسع فيه منهم :الشيخ عز الدين بن عبد السلام [٣] حيث يقول :" المناسبة علم حسن ولكن يشترط فيه حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر . وقال : من ربط ذلك فهو متكلف بما لايقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلاً عن أحسنه ، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة " [٤].

وقد رد عليه الإمام الزركشي بقوله : " قال بعض مشايخنا المحققين قد وهم من قال : لايطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، وفصل الخطاب : أنها على حسب الوقائع تنزيلا وعلى حسب الحكمة ترتيباً [٥].

فالقرآن الكريم وإن نزل متفرقاً فإنه مرتب علي حسب ترتيب اللوح المحفوظ ولذلك فإن آياته وسوره جاءت متناسبة ومترابطة يأخذ بعضها بأعناق بعض.

---

(١) مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٩٧

(٢) البرهان للزركشى (٣٥/١)

(٣) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي الدمشقي الملقب سلطان العلماء فقيه شافعي ولد بدمشق سنة ٥٧٧ وتوفي سنة ٦٦٠ انظر الوفيات (٢٨٧/١) وطبقات السبكي (٨٠/٥) .

(٤) البرهان للزركشي (٣٧/١) .

(٥) المرجع السابق ٦٣/١) .

وقد حكى صاحب كتاب علم المناسبات في السور والآيات الخلاف بين العلماء حول هذا العلم وبين أنهم فيه علي ثلاثة أقوال :طرفان ووسط ، فمنهم من ينكره ومنهم من يتوسع ويتكلف فيه وقسم وسط بين ذلك وناقش أدلة الفريقين الأولين وذهب إلى أن الصـــواب هو : جواز طلب المناسبات بين السور والايات .

و أنه علم حسن ولكن بالشروط التالية :

١- ان تكون المناسبة منسجمة مع السياق و السابق و اللاحق.
٢- ألا تكون المناسبة متعارضة مع الشرع.
٣- أن تكون متوافقة مع تفسير الآية غير مخالفة له مخالفة تضاد.
٤- ألا تكون المناسبة متعارضة مع اللسان العربي.
٥- ألا يجزم المفسر بأن هذه المناسبة هي مراد الله عز وجل.
٦- أن يعلم أن المناسبة موجودة ولا يلزم أن تكون ظاهرة في كل موضع لكل احد.

وعلى الجملة فإنه يشترط لجواز طلب المناسبات ما يشترط في قبول التفسير بـــالرأي ، إذ هي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً به ، والله اعلم " [١]

رابعاً : فضله و اهميته :

١- في علم المناسبات إظهار لإعجاز القرآن .

قال الأصبهاني : " ان هذا القرآن معجز ، و الركن الأبين للإعجاز يتعلق بالنظم و الترتيب " [٢] .

(١) علم المناسبات للدكتور محمد بازمول ص ٣٧ .

(٢) نظم الدرر (١٩/١)

٢- فيه إثبات لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن القرآن نزل منجماً على ثلاث و عشرين سنة ومع ذلك جاء ترتيبه في غاية الإحكام مما يدل على أنه من لدن حكيم خبير

٣- علم المناسبات يساعد في فهم القرآن ويسهل حفظه.

وسنعرض -إن شاء الله- في هذا الباب طرفاً من مناسبة سورة البروج لسورة الانشقاق و لسورة الطارق ومناسبة مقاطع السورة لبعضها البعض ومناسبة خاتمتها لافتتاحيتها ، أما مناسبة آياتها لبعضها البعض فسنعرض له من خلال التفسير التحليلي للسورة في الباب الثاني من هذا البحث ، وبالله التوفيق .

المبحث الثاني : مناسبة سورة البروج لسورة الانشقاق

جاءت سورة البروج بعد سورة الانشقاق على حسب ترتيب المصحف الشريف وهو ترتيب توقيفي على أصح أقوال أهل العلم وهذا الترتيب – بلا شك – لا يخلو من حكمة ربانية لأنه الترتيب الذي كتب به القرآن في اللوح المحفوظ وقد جاء على صورة بديعة كعقد نظمت حباته ورتبت أبدع ترتيب فكان في ذلك معجزاً في نظمه ، بديعاً في اتساقه ، متناسباً في آياته و سوره .

يقول البقاعي في مناسبة سورة البروج لسورة الانشقاق : " لما ختم تلك بثواب المؤمن وعقاب الكافر و الاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه و تعالى أعلم بما يضمر الأعداء من المكر وما يرومون من الانكاد للأولياء وتوعدهم بما لا يطيقون ، وكانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب واجتهدوا في فتنة من قدروا عليه منهم ، وبالغوا في التضييف عليهم حتى ألجؤوهم إلى شعب أبي طالب وغيره من البروج في البلاد و مفارقة الأهل و الأولاد ، ابتدأ هذه بما أوقع بأهل الجبروت ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الايقاع منه سبحانه قطعاً ومعلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف في النار وأن أهل الإيمان ثبتوا ، وذلك لتسلية المؤمنين و تثبيتهم و توعيد الكافرين و توهينهم وتفتيتهم فقال مقسماً لأجل انكارهم ، وفعلهم في التمادي في عداوة حزب الله عز وجل فعل المنكر أن الله ينتقم لهم بما يدل على تمام القدرة على القيامة : والسماء ...."(١) .

ويقول عطية محمد سالم : " وبمناسبة ارتباط السور بعضها ببعض فإن بعض المفسرين يقول : لما ذكر مآل الفريقين و تطاير الصحف في السورة الأولى ذكر هنا عملا من أشد أعمال الكفار مع المؤمنين في قصة الأخدود . والذي يظهر أقوى من هذا هو – والله تعالى أعلم – أنه لما ذكر سابقاً انفطار السماء ، و تناثر النجوم ، وانشقاق السماء و إذنها لربها–وحق لها ذلك – جاء هنا بيان كنه هذه السماء أنها عظيمة البنية بأبراجها الضخمة أو بروجها

(١) نظم الدرر (٣٥٢/٢١ – ٣٥٣)

الكبيرة ، فهي مع ذلك تأذن لربها و تطيع ، وتنشق لهول ذلك اليوم و تنفطر ، فأولى بك أيها الإنسان ، والله تعالى اعلم " [١] .

وجاء في البحر المحيط : " هذه السورة مكية (سورة البروج) ومناسبتها لما قبلها (سورة الانشقاق) : لما ذكر سبحانه أنه تعالى أعلم بما يجمعون للرسول صلى الله عليه وسلم و للمؤمنين من المكر و الخداع و إذاية من أسلم بأنواع من الأذى كالضرب و القتل و الصلب و الحرق بالشمس واحماء الصخر و وضع أجساد من يريدون أن يفتنوه عليه ،ذكر أن هذه الشنشنة كانت فيمن تقدم من الأمم يعذبون بالنار وأن أولئك الذين عرضوا على النار كان لهم من الثبات في الإيمان ما منعهم أن يرجعوا عن دينهم " [٢] .

وأيضا مما يدل على التناسب بين السورتين ابتداء كل واحدة منها بذكر السماء ولذلك يطلق عليها العلماء السماوات وذلك بإضافة سورة الطارق اليهما ، والله اعلم .

ويوضح لنا العلامة الالوسي وجهاً آخر من أوجه المناسبة بين سورة البروج و سورة الانشقاق قائلا : " ووجه مناسبتها لما قبلها اشتمالها كالتي قبلها على وعد المؤمنين و وعيد الكافرين مع التنويه بشأن القرآن وفخامة قدره "[٣] .

ويلخص الدكتور وهبة الزحيلي مناسبة سورة البروج لما قبلها في ثلاثة اوجه : -

١- التشابه في الافتتاح بذكر السماء .

٢- اشتمال السورتين على وعد المؤمنين و وعيد الكافرين و التنويه بعظمة القرآن .

٣- تضمنت السورة السابقة أن الله عليم بما يجمع المشركون في صدورهم للنبي صلى الله عليه وسلم و المؤمنين معه من أنواع الأذى المادي كالضرب و القتل و التعذيب في حر الشمس و الاذى المعنوي من حقد و حسد و عداوة و مكر وخوف على فوت المنافع

(١) تتمة أضواء البيان (٧٤/٩)

(٢) البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (٤٤٢/٨)

(٣) روح المعاني (٤١٥/٢٨)

وذكر في هذه السورة أن هذا شأن من تقدمهم من الأمم الكافرة الفاجرة وفي هذا عظة للمشركين و تثبيت للمؤمنين "[1] .

[1]) التفسير المنير (١٥/٥٢٦ – ٥٢٧)

المبحث الثالث : مناسبة سورة البروج لسورة الطارق

كما أسلفنا فإن ترتيب سور القرآن جاء مرتباً على ترتيب اللوح المحفوظ ، وهو ترتيب معجز حيث جاءت السور متعانقة و مترابطة كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وهذا فيه دلالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن القرآن نزل مفرقاً وبعد اكتماله ظهر مرتباً بهذه الصورة البديعة ، مما يؤكد أنه تنزيل من حكيم خبير . و سورة البروج تليها في المصحف سورة الطارق و بينهما تناسب ظاهر ، فكلاهما تم افتتاحه بالقسم بالسماء و لذلك اطلق عليهما السماوات كما جاء في حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يقرأ في العشاء بالسماوات "[١] .

قال ابن عاشور : أي السماء ذات البروج و السماء و الطارق [٢] .

قال أبوحيان الأندلسي في تفسير سورة الطارق : ولما ذكر سبحانه فيما قبلها تكذيب الكفار للقرآن نبه تعالى شأنه هنا على حقارة الإنسان ثم استطرد – جل و علا – منه إلى وصف القرآن ثم أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بإمهال أولئك المكذبين " [٣] .

وجاء في التفسير الموضوعي لسور القران الكريم بيان العلاقة بين موضوعي السورتين ما نصه : " فإن سورة البروج مضمونها و مقصودها ومحورها هو الفتن و تسلية المؤمنين بأن ما أصابهم قد أصاب غيرهم ما هو أكبر منه ، وهذه السورة (الطارق) لابراز المظاهر الواضحة للقدرة الالهية ، أو ليس من أبرز مظاهر القدرة الالهية الانتصار للمظلومين ولو بعد حين ؟ " [٤] .

([١]) تقديم تخرجه

([٢]) التحرير والتنوير (٢٣٦/٣٠)

([٣]) البحر المحيط (٤٤٨/٨)

([٤]) التفسير الموضوعي (١٠٠/٩)

وجاء فيه ايضاً : " وأما علاقة هذا الافتتاح – يعني افتتاح سورة الطارق – بخاتمة السورة السابقة – وهي سورة البروج فإنها قد ختمت بقوله تعالى " بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ " وجاء في مقدمة هذه السورة " والسماء و الطارق ، وما أدراك ما الطارق ، النجم الثاقب ،إن كل نفس لما عيها حافظ (سورة الطارق: ١–٤).

وبين هذه البداية وتلك النهاية نوع صلة : فحفظ اللوح مرتبط بحفظ السماء وحفظ اللوح من مظاهر قدرة الله تعالي التي من مظاهرها البارزة حفظ كل نفس أو حفظ عملها بالمكلفين بذلك من الملائكة وفي هذا تتجلي مظاهر القدرة الالهية البارزة "[١] .

ويقول الدكتور وهبة الزحيلي :سورة الطارق وسورة البروج ترتبطان من ناحيتين :–

١– ابتداء السورتين بالحلف بالسماء كسورتي الانشقاق والانفطار .

٢– التشابه في الكلام عن البعث والمعاد وعن صفة القرآن للرد علي المشركين المكذبين به وبالبعث ففي سورة البروج " إنه هو يبدئ ويعيد " وفي سوره الطارق " إنه على رجعه لقادر " [سوره الطارق ، ٨]

وفي سورة البروج " بل هو قرآن مجيد ، في لوح محفوظ"

وفي هذه السورة " إنه لقول فصل " [سورة الطارق ، ١٣]" [٢] .

(١) التفسير الموضوعي (٩/١٠٠)

(٢) التفسير المنير (١٥/٥٤٨)

المبحث الرابع : مناسبة مقاطع السورة مع بعضها البعض ومناسبة افتتاحيتها لخاتمتها .

اولاً : مناسبة مقاطع السورة مع بعضها البعض :-

المقطع الأول : قوله تعالي :

" والسماء ذات البروج ، واليوم الموعود ، وشاهد ومشهود " [١-٣]

افتتح الله سبحانه وتعالي السورة بأن اقسم بالسماء ذات البروج العالية الدالة على كمال قدرته وقوته ، واقسم باليوم الموعود وهو يوم القيامة الذي يكون فيه الحساب والجزاء علي أعمال العباد ، وكذلك اقسم بالشاهد والمشهود والذي فسره بعضهم بيوم الجمعة وعرفة او عرفة ويوم القيامة أو أنه يعم كل شاهد ومشهود .

المقطع الثاني : قوله تعالي :" قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، الذي له ملك السموات والارض والله علي كل شيْ شهيد ، إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، ذلك الفوز الكبير " [٤-١١]

في هذا المقطع جواب للقسم الذي سبق ذكره في المقطع الأول وفيه بيان ما ألحقه الكفار من فتنة وعذاب بالمؤمنين الذين آمنوا بالله العزيز الحميد والمناسبة بين المقطعين – والله اعلم – أن الله سبحانه وتعالى له القدرة الكاملة على عقاب الكفار على اعمالهم الشنيعة وتعذيبهم للمؤمنين وذلك في يوم موعود وتشهده جميع الخلائق ويشهد فيه بعضهم علي بعض ، وله القدرة كذلك علي إثابة المؤمنين الصابرين أحسن الجزاء في جنات عالية تجري من تحتها الانهار .

ويذكر الإمام البقاعي المناسبة بين المقطعين قائلا : ولما قدم سبحانه التحذير بالشاهد والمشهود وأن الكافرين شهود على أنفسهم زاد في التحذير بأنه سبحانه أعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره فلا يحتاج إلى غيره ولكن أجرى ذلك علي ما نتعارفه " [1].

المقطع الثالث : قوله تعالى : " إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئ و يعيد وهو الغفور الودود ، ذو العرش المجيد فعال لما يريد (٢-١٦) لما ذكر سبحانه و تعالى في المقطع الثاني أنه يعذب الكافرين ويغفر للتائبين و يثيب المؤمنين بين في هذا المقطع صفاته العظيمة التي تمكنه من فعل ذلك كله فهو ذو قوة و قدرة تامة لا يعجزه شئ وهو غفور ودود محب لمن أطاعه و أناب إليه ، وهو صاحب العرش وله الملك التام يقضي ما يشاء و يحكم ما يريد .

المقطع الرابع : قوله تعالى: هل أتاك حديث الجنود ، فرعون و ثمود ، بل الذين كفروا في تكذيب ، والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ (١٧-٢٢) .

يقول البقاعي : ولما تمت الدلالة على أن بطشه شديد ، قرره بما وجد من ذلك و ذكره به تخويفاً لقومه و تسلية له لأن النظر في المحسوسات أمكن في النفوس ، فقال : هل أتاك حديث الجنود " [2].

وقال أيضا : لما كان التقدير : نعم قد أتاك ذلك و علمت خبرها و غيره أنك قادر على ما تريد ولكن الكفار لا يصدقونني عطف إليه قوله " بل الذين كفروا في تكذيب " [3].

ثم ختم سبحانه و تعالى السورة بما يرجع إليه سبب كفرهم ، وهو تكذيبهم بالقرآن و مدحه بأجمل الصفات .

و هكذا نرى – ولله الحمد – هذه السورة و كذا جميع سور القران تبدو و كأنها عقد قد نظمت حباته في تناسق بديع و ترابط وثيق .

---

(١) نظم الدرر للإمام البقاعي (٣٥٨/٢١)

(٢) نظم الدرر (٣٦٣/٢١)

(٣) المرجع السابق (٣٦٥/٢١)

ثانياً : مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها

افتتح الله سبحانه و تعالى هذه السورة الكريمة بالقسم الذي يدل على باهر قدرته من خلق السماء و منبها على ضرورة الإيمان باليوم الموعود وما يكون فيه من شاهد مشهود .

واختتمها ايضاً بما يدل على قدرته وقوته مبيناً أن الكفار مكذبون بما أقسم به من اليوم الموعود الذي جاء ذكره في هذا القرآن المجيد إلا انه محيط بهم و قادر على عقابهم جزاء لهم على تكذيبهم و عنادهم وذلك في قوله تعالى " بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ" .

وذكر الامام البقاعي نكتة بديعة في مناسبة ختام سورة البروج لافتتاحيتها وذلك للتناسب بين حفظ الله سبحانه و تعالى للسماء و بروجها و حفظه للقرآن العظيم في اللوح المحفوظ حيث يقول في نظم الدرر : " كما أن البروج محفوظة في لوح السماء المحفوظ بل القرآن بذلك أولى لأنه صفة الخالق في بيان وصفه لما خلق على الوجه الأتم الأعدل ... إلى أن قال رحمه الله : فرجع الختام فيها على الابتداء و تعانق الافتتاح بالمنتهى فقضى ذلك تتريه المتكلم به عن أن يترك شيئاً فضلاً عن الأنفس بغير حفظ وعن كل مالا يليق و إثبات الكمالات له و الأكمليات بكل طريق ،والله أعلم بالصواب وإليه المرجع و المآب واليه المهرب و المتاب "[1]

([1]) نظم الدرر (٢١/٣٦٨ ، ٣٦٩)

الباب الثاني : التفسير التحليلى للسورة

الفصل الأول : كلمة عن التفسير التحليلي وإقسام الله تعالي ببعض مخلوقاته وجــواب القسم وفية أربعة مباحث :

المبحث الأول : كلمة عن التفسير التحليلي

أولا: تعريفه :

التفسير التحليلي يراد به أن يعمد المفسر إلى تفسير الآيات في مواضعها على حسب ترتيبها في السورة ، ويذكر مافيها من معاني وأقوال وإعراب وبلاغة وأحكام وقراءات وغيرها مما يعتني به المفسر وهذا هو الأسلوب الذي سارت عليه التفاسير منذ قديم الزمان مع اختلاف بينها في التركيز علي بعض الجوانب أكثر من غيرها .

ويعتبر التفسير التحليلي من التقسيمات الحديثة ولذلك يعتبر من المصطلحات المعاصرة وقد ذكره الدكتور أحمد جمال العامري في كتاب دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآنية ، حيث قسم التفسير إلى ثلاثة أنواع : التفسير التحليلي والإجمالي والموضوعي [1] وزاد عليها الدكتور فهد الرومي نوعا رابعا وهو التفسير المقارن وذلك في كتابة بحوث في أصول التفسير ومناهجه [2]

ثانيا : أهميته :-

أهم ما يميز هذا النوع من التفسير هو الشمولية وتناوله للآية الكريمة من جوانبها المختلفة مما يعطي القارئ صورة متكاملة عن معناها وأوجه البلاغة فيها وبيان القراءات وأقوال أهل العلم والفوائد المستنبطة منها إلى غير ذلك من الجوانب التي يتناولها التفسير التحليلي وقد بين الدكتور مصطفي مسلم أهميته من خلال مقارنته بأنواع التفسير الأخرى حيث يقول : "فالتفسير التحليلي لايستغني عنه الباحث في التفسير

(1) دراسات في التفسير الموضوعي للدكتور أحمد جمال العمري ص ٣٧

(2) بحوث في أصول التفسير ومناهجه للدكتور فهد الرومي ص ٦٠

الإجمالي أو الموضوعي أو المقارن ، وذلك لأن التفسير التحليلي ينصب علي معرفة دلالة الكلمة اللغوية ودلالتها الشرعية والتعرف علي الرابط بين الكلمات والجملة وبين الجمل في الآية الواحدة وبين الآيات في السورة وكذلك التعرف علي القراءات وأثرها على دلالة الآية ووجوه الإعراب ودورها في الأساليب البيانية وإعجاز القرآن الكريم وغيرها من الوجوه التي تساعد علي إجلاء المعني وتوضيح المراد " (١)

وقد راعيت في هذه الدراسة التحليلية لسورة البروج هذه الوجوه المتعددة إلا في حالة عدم توفرها في الآية – وأهم هذه الجوانب ما يلي : –

١- معاني المفردات من الناحية اللغوية .
٢- الإعراب
٣- البلاغة والبديع.
٤- القراءات المؤثرة في المعني .
٥- مناسبة الآية لما قبلها.
٦- أقوال المفسرين وبيان القول الراجح في حالة الاختلاف.
٧-
٨- المعني العام الاجمالي للآية أو الآيات .
٩- ما يستفاد من الآية أوالآيات من فوائد وأحكام .

(١) مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفي مسلم ص ٥٢

المبحث الثاني : إقسام الله تعالى بالسماء في قوله تعالى " والسماء ذات البروج " [١]

أولا : معاني المفردات:

١/ الواو :حرف قسم

٢/ السماء " السماء : سقف كل شئ وكل بيت .

قال الزجاج : السماء في اللغة تقال لكل ما ارتفع و علا قد سما يسمو وكل سقف فهو سماء ومن هذا قيل للسحاب : السماء لأنها عالية ، و السماء كل ما علاك فاظلك [١]

قال الراغب " سماء كل شئ أعلاه وقال الشاعر في وصف الفرس:

وأحمر كالديباج أما سماءه فريا وأما أرضه فمحول " [٢]

٣/ البروج : جمع برج وجاء في مادة " برج " : " البرج تباعد ما بين الحاجبين ، وكل ظاهر مرتفع فقد برج ، وانما قيل للبروج بروجاً لظهورها و بيانها و ارتفاعها و البرج : واحد من بروج الفلك وهي اثنا عشر برجاً [٣]

قال الراغب : البروج : القصور ، الواحد برج وبه سمي بروج السماء لمنازلها المختصة بها ، قال تعالى " والسماء ذات البروج " [٤]

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٣٧٨/٦)

(٢) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٢٧ .

(٣) لسان العرب (٣٥٨/١) .

(٤) مفردات ألفاظ القرآن ص ١١٥

ثانياً : الإعراب:

الواو : حرف قسم وجر .

السماء : مجرور بواو القسم و الجار و المجرور متعلقان بفعل محزوف تقديره أقسم .

ذات البروج : نعت للسماء " [١]

و سيأتي الحديث عن جواب القسم عند نهاية القسم في قوله تعالى " وشاهد و مشهود "

ثالثاً : البلاغة :

شبهت بروج السماء بالقصور لعلوها ولأن النجوم نازلة فيها كسكانها فهنـــاك اســـتعاره مصرحة تتبعها استعارة مكنية ، وقيل شبهت السماء بسور المدينة فأثبت لها البروج [٢]

رابعاً : مناسبة الآية :

يقول العلامة ابن عاشور : " في افتتاح السورة بهذا القسم تشويق إلى ما يرد بعده و اشعار بأهمية المقسم عليه وهو مع ذلك يلفت انتباه السامعين إلى الأمور المقسم بها لأن بعضها من دلائل عظيم القدرة الالهية المقتضية تفرد الله تعالى باللاهية و إبطال الشرك [٣]

خامساً : أقول المفسرين في هذه الآية :

اختلف المفسرون في معنى البروج إلى أقوال كثيرة وقد ذكر ابن جرير الطبري- رحمه الله - أربعة منها:

القول الأول : " والسماء ذات البروج " والسماء ذات القصور و روى ذلك عـــن ابـــن عباس رضي الله عنه أنه قال : قصور في السماء [٤] .

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (/ ٤٣٠)

(٢) روح المعاني للعلامة الآلوسي (٤١٦/٢٨)

(٣) التحرير والتنوير (٢٣٧/٣٠)

(٤) الدر المنثور (٣٢٨/١٥) .

القول الثاني : والسماء ذات النجوم و روى بسنده عن مجاهد في قوله تعالى " ذات البروج " قال : البروج: النجوم [1] وقد رجح ابن كثير رحمه الله هذا القول وعزاه لجماعة من السلف كابن عباس و مجاهد و الضحاك و الحسن و قتادة و السدي " [2]

القول الثالث : والسماء ذات الرمل والماء

القول الرابع : السماء ذات منازل الشمس و القمر

وقد رجحه ابن جرير ، وذلك لأن البروج جمع برج وهي منازل تتخذ عالية عن الأرض مرتفعة ومن ذلك قوله تعالى " ولو كنتم في بروج مشيدة " [النساء ، ٧٨] وهي منازل مرتفعة عالية في السماء وهي اثنا عشر برجاً فمسير القمر في كل برج منها يومان و ثلث فذلك ثمانية و عشرون منزلاً يستتر ليلتين ، و مسير الشمس في كل برج منها شهر [3] ".

قال الزمخشري : هي البروج الاثنا عشر وهي قصور السماء على التشبيه وقيل " البروج " : النجوم التي هي منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجاً لظهورها ، وقيل أبواب السماء " [4]

والذي يترجح – والله أعلم – هو ما ذهب اليه إمام المفسرين ابن جرير إلى أن المقصود بالبروج : منازل الشمس و القمر الاثنا عشر وقد اختاره ابن عثيمين في تفسيره للآية وقال عن هذه الابراج إنها جمعت في قول الناظم :

حمل فثور فجوزاء فسرطان فأسد فسمبلة ميزان
فعقرب قوس فجدي ذا دلو وذي آخرها الحيتان

(١) المصدر السابق (٣٢٨/١٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٣٨٣/٨)

(٣) تفسير ابن جرير (٢٧٧/٢٧) .

(٤) الكشاف (٣٤٦/٦) .

سادساً : المعني العام للآية:

أقسم الله سبحانه و تعالى بالسماء و بروجها وهي منازل الشمس و القمر وهي اثنا عشر برجاً وهي التي تقطعها الشمس في سنة والقمر في شهر وذلك لبيان عظمتها حيث تؤثر- بتقدير الله تعالى – في تغيير أحوال الأرض فينشأ عنها الفصول الأربعة و يعرف بها عـــدد السنين و الحساب .

وقد زاد ابن عاشور الصورة وضوحا في الاذهان في وصفه لهذه البروج قائلاً : " و البروج تطلق على علامات من قبة الجو يتراءى للناظر أن الشمس تكون في سمتها مدة شهر مـــن أشهر السنة الشمسية فالبرج : اسم منقول من اسم البرج بمعنى القصر لأن الشمس تنزله أو منقول من البروج بمعنى الحصن [1] .

سابعاً : ما يستفاد من الآية

بيان عظمة السماء و ارتفاعها و سعتها و علو أبراجها مما يدل على عظمة خالقهـــا وأنـــه تعالى مستحق للعبادة دون غيره .

([1]) التحرير والتنوير (٢٣٨/٣٠)

المبحث الثالث : إقسام الله تعالي باليوم الموعود

في قوله تعالى " واليوم الموعود "[٢]

أولا : معاني المفردات :

اليوم :" يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها ، وقد يعبر به عن مدة من الزمان أي مدة كانت " [١]

وجاء في المعجم الوسيط : (اليوم): زمن مقداره من طلوع الشمس إلى غروبها [٢] .

الموعود : قال الراغب :" الوعد يكون في الخير والشر ، يقال وعدته بنفع أوضر وعدا وموعدا وميعادا ، والوعيد في الشر خاصه " [٣]

ثانيا : الإعراب:

" واليوم الموعود ": عطف على السماء أو قسم برأسه [٤] " وجاء في التبيان " واليوم الموعود " أي الموعود به " [٥] وجاء في الإعراب المفصل

" واليوم " :معطوفة بالواو علي السماء تعرب مثلها .

الموعود : صفة لليوم مجرورة مثلها وعلامة جرها الكسرة أي :يوم القيامة "[٦] .

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن ص ٨٩٤

(٢) المعجم الوسيط (١٠٦٧/٢)

(٣) مفردات ألفاظ القران الكريم ص ٨٧٥

(٤) إعراب القرآن الكريم للدرويش (٤٣٠/١٠)

(٥) التبيان في إعراب القرآن (١٢٨٠/٢)

(٦) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (٣٩٧/١٢)

ثالثا : مناسبة الاية

يقول البقاعي [1] : ولما كانت هذه الجملة من القسم (يقصد قولة تعـالي والسـماء ذات البروج) دالة علي البعث ، قال تصريحا " واليوم الموعود " أي يوم القيامة الـذي تحقـق الوعد به وثبت ثبوتا لابد منه مما دل عليه من قدراتنا في مخلوقاتنا ... " [2] .

قال القفال " يحتمل ان يكون المراد : واليوم الموعود لانشقاق السماء وفنائهـا وبطـلان بروجها "[3] .

وقال ابن عاشور : " وان مناسبة القسم باليوم الموعود فلأنه يوم القيامة باتفاق أهل التأويل لأن الله تعالى وعد بوقوعه كما في قوله : " ذلك اليوم الذي كان يوعدون (المعـارج : ٤٤) مع ما في القسم به من ادماج الإيمان إلى وعيد أصحاب القصة المقسم علي مضمونها ووعيد لأمثالهم المعرض بهم " [4] .

ومن ذلك يتبين لنا أن مناسبة هذه الآية لما قبلها من جهة أن السماء تزول وتتشقق وتتناثر أبراجها في ذلك اليوم الموعود وفيها أيضا إشارة إلى أن الله تعالي الذي خلق هذه السموات قادر على أن يبعث الإنسان ويعيد خلقه في يوم القيامة وهو اليوم الموعود .

رابعا : أقوال المفسر في معني هذه الآية :

اتفق اهل التفسير علي أن المراد باليوم الموعود : يوم القيامة

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره : وأقسم باليوم الذي وعدته عبادي بفصل القضـاء بينهم وذلك يوم القيامة ... ثم قال : حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن نمـير واسـحاق

([1])

([2]) نظم الدرر (٣٥٤/٢١)

([3]) مفاتيح الغيب للرازي (٤٣٤/١٦) .

([4]) التحرير والتنوير (٢٣٨/٣٠)

الرازي عن موسي بن عبيده عن أيوب بن خالد عن رسول الله صلي الله عليه وسلم : اليوم الموعود :يوم القيامة "[١] [٢]

وجاء في تتمة أضواء البيان في تفسير اليوم الموعود : " هو يوم القيامة باجماع المفسرين وقد كانوا يوعدون به في الدنيا فهو اليوم الموعود به كل من الفريقين كما قال تعالي في حق المؤمنين : " لا يحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون " (الانبياء : ١٠٣) وفي حق الكفار " فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتي يلاقوا يومهم الذي يوعدون " (الزخرف : ٨٣) وسيعترفون بذلك عند البعث حينما يقولون " قالوا ياولينا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون " (يس : ٥٢) .

فاليوم الموعود هو يوم القيامة الموعود به لمجازات كلا الفريقين علي عملهم "[٣]

قال الو احدي [٤] : " فاليوم الموعود هو يوم القيامة في قول جميع المفسرين [٥] ويقول ابن عثيمين : " واليوم الموعود " هو يوم القيامة ، وعد الله تعالي به وبينه في كتابه ، ونصب عليه الأدلة العقلية التي تدل علي أنه واقع حتما كما قال تعالى : " كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين " (الانبياء : ١٠٤) " [٦]

خامسا: المعني العام للآية:

أقسم الله سبحانه وتعالى قسما باليوم الذي جعله موعدا لجميع العالمين للفصل بينهم فلا يخلف ميعاده ، بل هو واقع لا محالة وكائن بلا شك في وقت معين وأجل مسمى.

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٣٩) والبيهقيي في الكبرى (٥٣٥٣) والطبراني في الأوسط (١٠٨٧) .و السيوطي في الدر المنثور (٥٥٢/٦) والحديث فيه موسى بن عبيده قال عنه الحافظ بن حجر في التقريب : إنه ضعيف .

(٢) تفسير الطبري (٢٧٧/٢٧) .

(٣) تتمة أضواء البيان لعطية محمد سالم (٧٤/٩-٧٥)

(٤) أبو الحسن علي بن احمد الواحد النيسابوري ت ٤٦٨

(٥) الوسيط (٤٥٧/٤)

(٦) تفسير جزء عم ص ١٢٥

سادسا : ما يستفاد من الآية :

١/ وجوب الإيمان باليوم الآخر وأنه واقع لا محالة .

٢ -إقسام الله تعالي بيوم القيامة فيه تنبيه على عظمته وما فيه من أهوال فينبغي الاستعداد له بالايمان والعمل الصالح والتوبة من جميع الذنوب .

٣- وفية أيضا إشارة لعظمة المقسم عليه وشدة خطره فهو وعيد شديد للكفار الـــذين يفتنون المؤمنين وفي نفس الوقت بشاره للمؤمنين وحث لهم علي الثبات علي الحق حـــتي الممات لأن ما وعدهم الله به من الثواب في ذلك اليوم الموعود أعظم مما يجيدونه من الآلم في هذه الحياة الدنيا .

المبحث الرابع : إقسام الله تعالى بالشاهد والمشهود في قوله تعالى (وشاهد ومشهود) وجواب القسم

أ- التفسير التحليلي لقوله تعالى (وشاهد ومشهود)

أولاً : معاني المفردات :

قال الراغب : الشهود والشهادة : الحضور مع المشاهدة ، إما بالبصر أو بالبصيرة [1] ثم قال : وقوله " شاهد ومشهود " قيل : المشهود :يوم الجمعة وقيل يوم عرفه ويوم القيامة ، وشاهد : كل من يشهده " (٢) قال ابن فارس : شهد : الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه ، من ذلك الشهادة بجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور والعلم والإعلام ، يقال : شهد يشهد شهادة ، والمشهد : محضر الناس [3] .

ثانياً : الإعراب : " شاهد : معطوفة بالواو على السماء مجرورة مثلها وعلامة جرها الكسرة .

ومشهود : معطوفة بالواو على شاهد وتعرب إعرابها . أي : وشاهد في ذلك اليوم ومشهود فيه ، والمراد بالشاهد : من يشهد فيه من الخلائق كلهم ، والمشهود ما في ذلك اليوم من عجائبه " [4]

ثالثاً : البلاغة : شاهد ومشهود :

١. بينهما جناس اشتقاق [5]
٢. تنكيريهما للإيهام في الوصف وفي هذا الإيهام تهويل عظيم .

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن ص ٤٦٥ .

(2) المرجع السابق ص ٤٦٨ .

(3) معجم مقاييس اللغة (٢٢١/٣)

(4) إعراب المفصل لكتاب الله المرتل (٣٩٧/١٢) .

(5) التفسير المنير لوهبه الزميلي (٥٣١/١٥) .

٣. التعريف للتكثير [١]

٤. توافق الفواصل مراعاة لرؤوس الآيات مثل " واليوم الموعود وشاهد ومشهود .... الخ ، وهو من المحسنات البديعية وهو ما يعرف بالسجع والله أعلم [٢]

رابعاً : مناسبة الآية لما قبلها :

مناسبة الآية لما قبلها ظاهرة – ولله والحمد – لأن يوم القيامة يكون فيه الفصل بين الخلائق ، والحكم بينهم ومن تمام عدل الله عز وجل فإنه يقيم الحجة على عبادة بشهادة الملائكة عليهم وشهادتهم على بعضهم البعض ، بل وشهادتهم على أنفسهم والله سبحانه أحكم الحاكمين وهو على كل شيء شهيد .

جاء في التفسير المنير : " أي وأقسم بيوم القيامة الموعود به وبمن يشهد في ذلك اليوم ومن يشهد عليه ، هذا إن كان ذلك مأخوذ من الشهادة فإن كان مأخوذاً من الحضور بمعنى أن الشاهد هو الحاضر كقوله تعالى :" عالم الغيب والشهادة " ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود " [هود ، ١٠٣] [٣] .

ويقول ابن عاشور في المناسبة بين الآيتين : " وشاهد ومشهود مراد بها النوع فالشاهد الرائي أو المخبر بحق لإلزام منكره ، والمشهود المرئي أو المشهود عليه بحق ، وحذف متعلق الوصفين لدلالة الكلام عليه فيجوز أن يكون الشاهد حاضر ذلك اليوم الموعود من الملائكة قال تعالى " وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد " [ق ،١] ويجوز أن يكون الشاهد الله تعالى ويؤيده قوله " والله على كل شيء شهيد " [٩] أو الرسل والملائكة ... " [٤] .

---

(١) حاشية القونوي على تفسير البيضاوي (١٧٩/٢٠) .

(٢) صفوة التفاسير (٥٤٤/٣) .

(٣) التفسير المنير (٥٣٣/٥) .

(٤) التحرير والتنوير (٢٣٨/٣٠-٢٣٩)

خامساً : أقوال المفسرين في قوله تعالى " وشاهد ومشهود "

اختلف المفسرون في تفسير الآية إلى أقوال كثيرة بلغت أربعة وعشرين قولاً ذكرها ابـــن الجوزي في تفسيره زاد المسير [1] وقد ذكر ابن جرير الطبري منها ثمانية أقوال ولم يـــرجح واحد منها [2] وسنذكر – إن شاء الله – ثلاثة من هذه الأقوال كأمثلة ثم نـــبين القـــول الراجح في هذه الآية وبالله التوفيق .

القول الأول : الشاهد : يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وهو مروي عن أبي هريرة رضي الله عنه [3] ، وبه قال علي وابن عباس في رواية وابن زيد " [4] قال ابن كثير : الأكثرون على أن الشاهد : يوم الجمعة والمشهود يوم عرفه عرفة [5]

القول الثاني : الشاهد : محمد والمشهود : يوم القيامة وهو مروي عن ابن عباس في رواية أخرى [6] وعن الحسن بن علي [7] .

القول الثالث : الشاهد : ابن آدم والمشهود : يوم القيامة وهو قول مجاهد [8] وعكرمة [9] والله أعلم .

ونكتفي بذكر هذه الأقوال الثلاثة لأن الراجح في هذه المسألة والله أعلم أن الشاهد والمشهود أعم من ذلك فجميع ما قيل يدخل فيها ولا تعارض في ذلك .

---

(1) زاد المسير ص ١٥٣١

(2) تفسير الطبري (٢٧٩/٢٧ – ٢٨٥) .

(3) رواه أحمد (٧٩٦٠) والحاكم (٣٩١٥) والبهيقي (٥٣٥٢) وقال الدار قطني في العلل (١٢١/١١،١٢٠) اختلف في رفعه على عمار فرفعه علي بن زيد بن جدعان ووقفه يونس بن عبيد علي أبي هريرة وهو الصواب .

(4) زاد المسير ص ١٥٣١

(5) تفسير ابن كثير (٣٨٥/٨)

(6) ابن أبي شيبة (٣٤٧٧٥) والنسائي في الكبرى (١١٦٦٣) والدر المنثور (٥٣٣/٦)

(7) زاد الميسر (٣٨٥/٩) .

(8) تفسير مجاهد (٧٤٦/٢)

(9) الدر المنثور (٣٣٣/١٥) مصنف عبد الرزاق (٣٦١/٢)

قال ابن جرير : " والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله أقسم بشاهد شهد ومشهود شُهِد ولم يخبرنا مع إقسامه بذلك أي شاهد أي مشهود أراد وكل الذي ذكرنا أن العلماء قالوا هو المعنى مما يستحق أن يقال له : شاهد ومشهود " [1] وعلى هذا فإن القول القول الراجح في هذه الآية أنها تعم كل شاهد ومشهود قال أبوحيان : " شاهد ومشهود : هذان منكران وينبغي حملهما على العموم " [2]

وجاء في تفسير القاسمي : " وشاهد وهو كل ما له حس يشهد به ، ومشهود وهو كل محس يشهد بالحس فيدخل فيه العوالم المشهودة كلها وتخصيص بعض المفسرين بعضاً مما يتناوله لفظهما لعله لأنه الأهم أو الأولى أو الأعرف والأظهر لقرينة عنده وإلا فاللفظ على عمومه حتى يقوم برهان على تخصيصه [3] وتعدد الأقوال في الآية الواحدة من غير وجود تعارض بينها يعتبر من اختلاف التنوع أو التفسير بالمثال كما يسميه شيخ الإسلام حيث يقول في مقدمة التفسير " فكل قول فيه ذكر نوع داخل في الآية إنما ذكر لتعريف المستمع بتناول الآية له وتنبيهه على نظيره ، فإن التعريف بالمثال قد يسهل أكثر من التعريف بالحد المطلق " [4] .

سادساً : المعنى الإجمالي للآية:

وأقسم بكل شاهد في ذلك اليوم وهو من يحضر ويشهد على غيره عليه بأعماله التي عملها فالرسل والملائكة والأمم شاهد ومشهود والله سبحانه وتعالى هو الذي يفصل بين العباد .

---

(1) تفسير الطبري (٢٨٦/٢٧)

(2) البحر المحيط (١٢٤٤/٢)

(3) تفسير القاسمي(٤٤٣/٩) .

(4) مقدمه في أصول التفسير ص (١٥) .

سابعاً : ما يستفاد من الآية :

١. إثبات عقيدة البعث والجزاء .

٢. فيها تنبيه على فضل يومي الجمعة وعرفه .

٣. فيها حث على التوبة والتحلل من المظالم قبل يوم الحساب .

(ب) جواب القسم :أقسم الله سبحانه وتعالى في مطلع هذه السورة بالسماء ذات البروج وباليوم الموعود وشاهد ومشهود ، فما هو المقسم عليه ؟

اختلف المفسرون في جواب هذا القسم :

القول الأول : جواب القسم قوله تعالى : " قتل أصحاب الأخدود " وهو اختيار الأخفش [1] وابن حيان [2] قال ابن عادل : " هذا جواب القسم على المختار وإنما حذفت اللام والأصل : لقتل كقوله له :

حلفت لها بالله حلفة فاجر　　　　لناموا فما أن من حديث ولا صالي [3]

القول الثاني : جواب القسم " إن بطش ربك لشديد " وبه قال النحاس (٤) .

القول الثالث : الجواب قوله تعالى " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ... "

القول الرابع : الجواب مقدر وبه قال الزمخشري [5] وهو القول الراجح – إن شاء الله – لأن جملة " قتل أصحاب الأخدود " جملة دعائية لا خبرية .

([1]) معاني القرآن (٥٧٥/٢)

([2]) البحر المحيط (٤٤٣/٨)

([3]) اللباب في علوم الكتاب (٢٤٧/٢٠) .

([4]) معاني النحاس (٣٠٧/٥) .

([5]) الكشاف (٣٤٦/٦) .

قال الهرري : " والظاهر أن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والجواب محذوف تقديره : أقسم بهذه الأشياء على أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود وقيل تقدير الجواب : لتبعثن واختاره النباري [1]

ويرى ابن القيم أن " الأحسن أن يكون هذا القسم مستغنياً عن الجواب لأن القصد التنبيه على المقسم به وأنه من آيات الرب العظيمة ويبعد أن يكون الجواب : قتل أصحاب الأخدود لأن ذلك دعاء وطلب " [2] .

([1]) تفسير حدائق الروح والريحان (٢٧٩/٣١) .

([2]) التبيان في إيمان القرآن ص ١٤٣ .

الفصل الثاني

[قصة أصحاب الأخدود وما أعده الله تعالى للمؤمنين والكافرين من وعد ووعيد]

وفيه مبحثان : المبحث الأول : قصة أصحاب الأخدود

في قوله تعالى : " قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد "

أولاً : معاني المفردات :

قتل : أصل القتل إزالة الروح عن الجسد كالموت [1]

الأخدود : الخد والأخدود : شق في الأرض مستطيل غائص [2]

الوقود : يقال وقدت النار تقد وقوداً ووقداً ، والوقود يقال للحطب المجعول للوقود ولما حصل من اللهب [3]

قعود : القعود يقابل به القيام والقعود قد يكون جمع قاعد [4]

نقموا : نقمت الشيء ونقمته إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة [5]

ثانياً الإعراب :

قتل : فعل ماضي مبني على الفتح

أصحاب : نائب فاعل مرفوع بالضمة

الأخدود : مضاف إليه مجرور بالإضافة وعلامة جره الكسرة

النار ذات الوقود : بدل اشتمال

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٦٥٣.

(2) المرجع السابق ص ٢٧٦ .

(3) المرجع السابق ص ٧٨٩

(4) المرجع السابق ص ٦٧٨

(5) المرجع السابق ص ٨٢٢

إذ : ظرف زمان مبني على السكون في محل نصب متعلق بقتل .
وهم عليها قعود : الجملة الاسمية في محل جر بالإضافة
وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود : معطوفة بالواو على الآية السابقة
وما : الواو عاطفة وما نافيه لا عمل لها .
نقموا : فعل ماضي مبني على الضم وواو الجماعة في محل رفع فاعل والألف فارقة
منهم : من حرف جر ، وهم : ضمير في محل جر
إلا أن يؤمنوا : إلا: أداة حصر وأن : حرف مصدرية ونصب ويؤمنوا فعل مضارع منصوب وعلامة نصبه حذف النون وأن وما بعدها بتأويل مصدر في محل نصب مفعول به تقديره " الإيمان " .
بالله العزيز الحميد : بالله : جار ومجرور للتعظيم متعلق ب(يؤمنوا)
والعزيز الحميد : صفتان للفظ الجلالة مجروران .
الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد
الذي : اسم موصول مبني على السكون في محل جر صفه ثالثة للفظ الجلالة .
والجملة بعده صلة الموصول لا محل لها من الإعراب " [1]
ثالثاً : البلاغة :

١. " النار ذات الوقود " : أفاد المبالغة بطريقة التجريد كأن النار انتزع منها نار أخرى ذات وقود مثلها [2]
٢. " ما نقموا منهم " وما عابوا منهم وما أنكروا عليهم إلا الإيمان " وهذا نوع من تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب [3]

([1]) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (١٢/٣٩٨ – ٣٩٩) باختصار .
([2])حاشية الشهاب (٩/٤٥٧) .
([3]) الكشاف (٦/٣٤٩) .(٤) معجم القراءات (١٠/٣٦٧-٣٦٨)باختصار

٣. " إذ هم عليها قعود " : تدل "على" على الاستعلاء الحقيقي إذا كان المقصود بالآية المؤمنين و تدل على الاستعلاء المعنوي إذا كان الضمير يعود على الكفار .

رابعاً القراءات :

١. " قُتِل : قرأ الجمهور بالتخفيف وقرأ الحسن وابن مقسم " قتل بالتشديد للمبالغة والتكثير

٢. الوقود : قرأ الجمهور بفتح الواو وهو اسم لما يوقد به وقرأ بعضهم كالحسن وقتادة ومجاهد : الوقود بضم الواو وهو مصدر

قال الخفش " وأما الوقود- بالفتح- فالحطب وأما الوقود : الفعل وهو الإتقاد (٤)

خامساً : مناسبات الآيات :

يقول الإمام البقاعي في مناسبة هذه الآيات لما قبلها وتناسبها فيما بينها : " ولما كان جواب القسم على ما دل عليه مقصود السورة وسوابقها ولواحقها : لنثوبن الفريقين الأولياء والأعداد ولندينن كلا بما عمل [1] دل عليه بأفعاله في الدنيا ببعض الجبابرة فيما مضى وفيما يفعل بجبابرة من كذب النبي صلى الله عليه وسلم فقال بادئاً بمن عذب بعذاب الله في القيامة للبراءة في آخر الانشقاق بقسم المكذبين وهم المحدث عنهم معبراً بما يصلح للدعاء والحقيقة تسلية المؤمنين وتثبيتاً لهم بما وقع لأمثالهم وتحذيراً مما كان لأشكالهم " قتل " أي لعن بأيسر أمر وأسهله من كل لاعن لعناً لا فلاح معه ووقع في الدنيا أنه قتل حقيقة " أصحاب الأخدود " أي الخد العظيم وهو الشق المستطيل في الأرض كالنهر .

ثم ذكر رحمه الله قصة الغلام باختصار ثم انتقل إلى الحديث عن مناسبة قوله تعالى " وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد فقال " ولما كان هذا الفعل العظيم [وهو الإحراق بالنار] لا يكون من عاقل إلا لسبب يليق به بين أنه إنما هو لسبب يبعد منه فقال على طريقة

([1]) هذا يدل على أن الإمام البقاعي ممن يرى أن جواب القسم مقدر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم يهن فلول من قراع الكتائب

" وما نقموا " أي ما أنكروا وكرهوا " منهم " من الحالات وكان ديناً لهم ونقصاً فيهم " إلا أن يؤمنوا " أي يجدوا الإيمان مستمرين عليه " بالله " أي الملك الأعلى الذي له جميع صفات الكمال ... ولما كان ربما أوهم ترك معالجته سبحانه لهم لكونهم يعذبون من آمن به لأجل الإيمان به ما لا يليق نفي ذلك بقوله واصفاً له بما يحقق وجوب العبادة له وتفرده بها " العزيز " أي الذي يغلب من أراد ولا يغلبه شيء فلا يظن إمكانه من أهل ولايته لعجز بل هو يبتليهم ليعظم أجورهم ويعظم عقاب أعدائهم ويعظم الانتقام منهم " الحميد " أي المحيط بجميع صفات الكمال فهو يثبت من أصيب فيه أعظم الثواب وينتقم ممن آذاه بأشد العذاب " [1]

أما مناسبة قوله تعالى " الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد " فقد قال عنها أنها تقرير لما سبق أي تأكيد لقدرته وعزته وأن كل شيء تحت تصرفه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وقرر ذلك بقوله " الذي له " أي خاصة .

"ملك السموات والأرض " أي على جهة العموم مطلقاً فكل ما فيها جدير بأن يعبده وحده لا يشرك به شيئاً .

أما مناسبة ختام الآية لما قبلها هو أن الله سبحانه وتعالى لما قدم التحذير بالشاهد والمشهود وأن الكافرين شهود على أنفسهم زاد في التقرير بأنه سبحانه أعظم شهيد في ذلك اليوم وغيره ، فهو لا يحتاج إلى غيره ولكن أجرى ذلك على ما نتعارفه " [2]

فسبحان الله العظيم ما أبدع نظام هذا القرآن وما أجمل ترابطه وتناسب آياته وسوره وتماسك جمله وكلماته .

(1) نظم الدرر للإمام البقاعي (٢١/ ٣٥٦ – ٣٥٨) باختصار .

(2) انظر نظم الدرر للبقاعي (٣٥٨/٢١) .

سادساً : أقوال المفسرين في هذه الآيات :

١- قوله تعالى " قتل أصحاب الأخدود [٤] أي لعنوا والأخدود الشق في الأرض والجمع أخاديد وهؤلاء قوم حفروا حفائر في الأرض وأوقدوا فيها النار وألقوا فيها من لم يكفر واختلف العلماء فيهم على ستة أقوال (١)

القول الأول : أنه ملك كان له ساحر فبعث إليه غلاماً يعلمه السحر وكان الغلام يمر على الراهب فأعجبه أمره فتبعه فعلم به الملك فأمره أن يرجع عن دينه فلم يرجع فاجتهد الملك في إهلاكه فلم يقدر فقال له الغلام : لست قاتلي حتى تفعل ما آمرك به . اجمع النـــاس في صعيد واحد واصلبني على جذع وارمني بسهم من كنانتي وقل : بســـم الله رب الغـــلام ففعل فمات الغلام فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فخد الأخاديد وأضرم فيها النار وقال : من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها ففعلوا وهذا مختصر الحديث . (٢)

القول الثاني : أن ملكاً من الملوك سكر فوقع على أخته فلما أفاق قال لها : ويحك ، كيف المخرج ؟ فقالت له : اجمع أهل مملكتك فأخبرهم أن الله عز وجل قد أحل نكاح الأخوات وإذا ذهب هذا في الناس وتناسوه خطبتهم فحرمته ففعل ذلك فأبو أن يقبلوا منه فبســـط فيهم السوط ثم جرد السيف فأبوا فخد لهم أخدوداً وأوقد فيه النار وقذف من أبى قبـــول ذلك وهذا القول مروي عن على بن أبي طالب رضي الله عنه (٣) .

القول الثالث : أنهم ناس اقتتل مؤمنوهم وكفارهم فظهر المؤمنون ثم تعاهدوا أن لا يغـــدر بعضهم ببعض فغدر كفارهم فأخذوهم فقال لهم رجل من المؤمنين أوقدوا ناراً واعرضوهم عليها فمن تابعكم على دينكم فذاك الذي تحبون ومن لم يتبعكم أقحم النار فاسترحتم منه ففعلوا فجعل المسلمون يقتحمونها ، ذكره قتادة (٤) .

(١) انظر زاد المسير لابن الجوزي ص ١٥٣٢

(٢ *) انظر صحيح مسلم حديث رقم (٣٠٠٥) .

(٣) الدر المنثور (٣٣٧/١٥) .

(٤) المرجع السابق (٥٥٣/٦) .

القول الرابع : أن قوماً من المؤمنون اعتزلوا الناس في الفترة فأرسل إليهم جبار من عبــدة الأوثان فعرض عليهم الدخول في دينه فأبوا فخد لهم أخدوداً وألقاهم فيه ، قاله الربيع بن أنس [1]

القول الخامس : أن جماعة آمنوا من قوم يوسف بن ذي نواس بعد ما رفع عيســى عليــه السلام فخد لهم أخدوداً وقذفوهم فيه حكاه الزجاج [2].

وذهب ابن جرير– رحمه الله– إلى أن الذين أحرقتهم النار هم الكفار الذين فتنوا المــؤمنين لأن الله تعالى نجي المؤمنين بأن قبض أرواحهم وخرجت النار من الأخدود فأحرقت الكفار وعلل ذلك بإخباره تعالى بأن لهم عذاب الحريق مع عذاب جهنم ولو لم يكونوا أحرقوا في الدنيا لم يكن لقوله " ولهم عذاب الحريق " معنى مفهوم مع إخباره أن لهم عذاب جهنم لأن عذاب جهنم هو عذاب الحريق مع سائر أنواعها في الآخرة [3] .

وذهب العلامة ابن كثير إلى احتمال وقوع هذه القصة لأكثر من مرة وروى عن ابــن أبي حاتم قال وكانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين وفي العراق في أرض بابل زمان بختنصر [4]

وما ذهب إليه العلامة ابن كثير هو الراجح –إن شاء الله تعالي– لأنه لم يثبت في أحاديــث النبي صلي الله علية وسلم أنه عنى قوماً بأعيانهم مفسراً هذه الآيات بهم دون غيرهم ومــا ورد عنه في الحديث الطويل الذي يذكر فيه قصة الملك مع الغلام والساحر والراهب والتي كان في نهايتها تحريق للمؤمنين بهذه الطريقة المذكورة في الآية فإنه صلي الله علية وســلم لم يقصر تفسير الآية علي هذه القصة ولكنه ذكرها فيما ذكره من أحوال الأمم الماضية ليعتبر الناس بها فيصلح هذا الحديث أن يكون ضرب مثل من مثل ما تشتمل عليه الآيــة مــن

([1]) البغوي وابن كثير (٣١١/١٤، ٣١٢)

([2]) انظر زاد المسير ص ١٥٣٢

([3]) انظر تفسير الطبري (٢٩٣/٢٧) .

([4]) انظر تفسير بن كثير (٣٩٠/٨) .

النماذج البشرية المنحرفة ولا يستبعد أن هذا الفعل قد تكرر في التاريخ الإنساني أكثر من مرة .

مما سبق يثبت لنا أن أصحاب الأخدود يدخل فيهم دخولاً أوليا الكفار الذين حرقوا المؤمنين في قصة الملك والغلام وذلك لا يمنع حدوث مثل هذه المحنة لغيرهم من المؤمنين كما جاء في الروايات الأخرى لأن الكفار علي مر الدهور تتشابه قلوبهم وأفعالهم بالمؤمنين

٢- قوله تعالي " النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم علي ما يفعلون بالمؤمنين شهود [٥-٧] أي مشاهدون لما يفعلون بأولئك المؤمنين " [١] ، ومعنى ذات الوقود " أنها لا يخمد لهبها لأن لها وقوداً يلقي فيها كلما خبت ويتعلق " إذ هم عليها قعود" بفعل قتل أي لعنوا وغضب الله عليهم حيث قعدوا على الأخدود وضمير " هم " عائد علي أصحاب الأخدود فإن الملك يحضر تنفيذ أمره ومعه ملأه ، فعلى للاستعلاء المجازي لأنهم لم يقعدوا فوق النار ولكن حولها [٢]

٢- قوله تعالي " وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد [٨] قال ابن عباس : وما كرهوا وعن غيره : ما عابوا وقوله : إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد " والمعني أنهم ما أنكروا ما أنكروا عليهم إلا إيمانهم بالله " العزيز " أي الغالب بقدرته " الحميد " في أفعاله [٣]

٤- قوله تعالي : الذي له ملك السموات والأرض والله علي كل شيء شهيد " [٩]تأكيد وبيان العزيز الحميد إذ لا يخرج عن سلطانه أحد فهو القاهر فوق عباده وهو المدبر أمر ملكه سبحانه وتعالى [٤] وقوله تعالى : والله علي كل شيء شهيد " فيه وعيد شديد

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/٣٨٥)

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٢٤٢)

(٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني (٦/١٩٨-١٩٩)

(٤) تتمة أضواء البيان لعطية محمد سالم (٩/٨٤)

لأصحاب الأخدود ووعد بالخير لمن عذب من المؤمنين علي دينه فصبر ولم يتراجع في موقف الشدة [1] فالآية الكريمة فيها تقرير لعزة الله وقدرته الكاملة وسلطانه التام علي الملكوت العلوي والسفلي وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه فهو قادر علي عقاب الكفار والمكذبين الذين يعذبون أولياءه ، وقادر علي إثابة عباده المؤمنين الذين صبروا ابتغاء وجهه وهو عليم شهيد لا تخفي عليه خافيه في الأرض ولا في السماء .

سابعاً : المعني الإجمالي للآيات :

لعن أصحاب الأخدود الذين عذبوا المؤمنين بتحر يقهم بالنار بعد أن شقوا لهم شقاً عظيماً في الأرض ووضعوا فيه حطباً كثيراً وأقحموا فيه المؤمنين وهذه النار ذات الوقود واللهيب تحرق وتأكل من يلقي فيها وهؤلاء الأشرار الكفار جلسوا حولها ينظرون إلي الأخيار وهم يعذبون ليستمتعوا بذلك شأنهم شأن الجبابرة والطغاة وما كرهوا منهم وما عابوا عليهم شيئاً غير إيمانهم بالله فليس لهم ذنب غير طاعة ربهم والله سبحانه وتعالى هو المستحق للعبادة وهو عليم خبير لا تخفى عليه خافية وهو علي كل شيء شهيد مطلع علي جميع خلقه وسيجازي كلا بعمله .

ثامناً: ما يستفاد من الآيات :

١. بيان ما يبتلي به المؤمنون في هذه الحياة الدنيا من التعذيب والتنكيل فيصبرون فيكون جزاؤهم جنة عرضها السموات والأرض .
٢. يسلط الله الكافرين علي عباده المؤمنين من أجل زيادة عقوبتهم في الآخرة .
٣. الله سبحانه تعالى له الملك التام والعزة التي لا ترام وهو مطلع علي خلقه فينبغي الحذر من معصيته .

(١) التفسير المنير (٥٣٥/١٥)

المبحث الثاني وعد ووعيد

في قوله تعالي " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز العظيم "

أولا: معاني المفردات :

فتنوا : أصل الفتن : إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته واستعمل في إدخال الإنسان النار ويستعمل في الاختبار نحو " وفتناك فتوناً " [1] وقد ذكر ابن قتيبة أن الفتنة لها عدة معاني منها : الاختبار والتعذيب والشرك والكفر والإثم [2]

يتوبوا : التوب : ترك الذنب علي أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار، لأن الاعتذار يأتي على ثلاثة أوجه : إما أن يقول المعتذر : لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا أو فعلت وأسأت وقد أقلعت ولا رابع ، والأخير هو التوبة [3] .

الفوز : الظفر بالخير مع حصول السلامة [4] .

ثانياً : الإعراب

" إن : حرف توكيد ونصب

الذين : اسم موصول مبني علي السكون في محل نصب اسم إن

(1) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٦٢٣ .

(2) انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٦٢ – ٣٦٣

(3) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ١٦٩ .

(4) المرجع السابق ص ٦٤٧ .

فتنوا المؤمنين : الجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها من الإعراب والمؤمنات : معطوفه بالواو علي المؤمنين وعلامة نصبها الكسرة .

ثم : حرف عطف ، لم : حرف نفي وجزم وقلب

يتوبوا : فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون

الفاء : استئنافيه أو واقعة في جواب الذين لأنها متضمنة الشرط لهم عذاب جهنم : جمله اسميه في محل رفع خبر إن ولهم عذاب الحريق ، معطوفه بالواو علي : لهم عذاب جهنم " وتعرب إعرابها إن الذين أمنوا : تعرب إعراب إن الذين فتنوا وعملوا : معطوفة علي آمنوا وتعرب إعرابها. "من تحت" : جار ومجرور متعلق بتجري أو بحال من الأنهار ."ذلك" : اسم إشارة مبني علي في محل مبتدأ واللام والكاف للخطاب .

الفوز: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو الفوز.

الكبير : صفة [(١)]

ثالثاً : البلاغة :

١- في قولة تعالي : إن الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار " لم يدخل الفاء في لهم مع أن المبتدأ متضمن معني الشرط مثل ما قبله تنبيها علي أن دخول الجنة فضل من الله تعالي لا بالإيمان والعمل الصالح [(٢)]

٢- المقابلة بين مصير المؤمنين ومصير المجرمين في الآيتين [(٣)]

---

(١) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (١٢/٤٠٠- ٤٠١) باختصار .

(٢) حاشية القنوي (٢٠/١٨٩)

(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٣/٥٤٣)

رابعاً : مناسبة الآيتين:-

تقدم في الآيات السابقة صفات عظيمة لله تعالى فمن كان متصفاً بتلك الصفات من الملك والعزة والعلم المحيط بجميع الخلق فإنه قادر علي نصرة أوليائه ومعاقبة أعدائه فناسب أن يذكر مصير الفريقين بعد تلك الصفات.

يقول البقاعي " ومن هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلا بل لا بد أن ينتقم لهم ويعليهم ولذلك قال مستأنفاً جواباً لمن يقول ، فما فعل بهم -مؤكدا لإنكار الكفار ذلك - " إن الذين فتنوا ..." ولما كانت التوبة مقبولة ولو طال الزمان عبر بأداة التراخي فقال " ثم لم يتوبوا " أي عن ذنوبهم وكفرهم . ولما ذكر عقاب المعاندين لأن المقام له اتبعه بثواب العابدين فقال مؤكدا لأعدائهم من إنكار ذلك " أن الذين أمنوا .. " [1]

قال ابن سعدي في المناسبة بين هاتين الآيتين ، ولما ذكر عقوبة الظالمين ذكر ثواب المؤمنين [2]

خامسا : أقوال المفسرين في هاتين الآيتين :-

١. قوله تعالي : " إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا ...."

قال ابن جرير – رحمه الله –" يقول إن الذين ابتلوا المؤمنين والمؤمنات بالله بتعذيبهم بالنار ، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ورو ى آثاراً تدل علي هذا القول عن ابن عباس وقتادة والضحاك وغيرهم .

---

(1) نظام الدرر للبقاعي (٣٥٩/٢١- ٣٦٠)

(2) تفسير الكريم الرحمن لابن سعدي ص ٩١٩ .

وقوله " ثم لم يتوبوا " يقول ثم لم يتوبوا من كفرهم وفعلهم الذي فعلوا بالمؤمنين والمؤمنات من أجل إيمانهم بالله فلهم عذاب جهنم " في الآخرة " ولهم عذاب الحريق " في الدنيا [1]

ويلاحظ أن ابن جرير يرى أن كلا العذابين وقع علي الكفار الذين فتنوا المؤمنين لأن العطف يقتضي التغاير وذلك علي قول الربيع بن أنس أن النار أحرقت الكفار أي أنها ارتفعت من الأخدود بعد أن أحرقت المؤمنين فأحرقت الملك وأصحابه فهذا هو عذاب الحريق في الدنيا وتوعدهم الله بعذاب جهنم في الآخرة وأكثر المفسرين علي خلاف ذلك حيث يرون أن كلا العذابين في جهنم [2] ، ويرى بعض المفسرين أن المقصود بالذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات هم مشركوا قريش وليس أصحاب الأخدود قال ابن عاشور " والذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات هم مشركو قريش وليس المراد أصحاب الأخدود لأنه لا يلاقي قوله " ثم لم يتوبوا " إذ هو تعريض بالترغيب في التوبة " [3]

وقال ابن عطية لأن هذا اللفظ في قريش أحكم منه في أولئك الذين قد علم أنهم ماتوا علي كفرهم [4]

" ويحتمل أن يكون مرادا به أصحاب الأخدود وفتنوا بمعني احرقوا ويحتمل أن يكون عاما في كل من آذى المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم ويردوهم عنه بأي أنواع الفتنه والتعذيب وقد رجح الأخير أبوحيان وحمله علي العموم أولى ليشمل كفار قريش بالوعيد والتهديد وتوجيهم إلي التوبة مما أوقعوه بضعفة المؤمنين كعمار وبلال وصهيب وغيرهم ويرجح هذا

---

(1) انظر تفسير الطبري (٢٩٦/٢٧)

(2) انظر زاد المسير لابن الجوزى ص ١٥٣٣

(3) التحرير والتنوير (٢٤٥/٣٠)

(4) المحرر الوجيز لابن عطية (٥٧٩/٨) .

العموم العموم الآخر الذي يقابله في قوله " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير [١]

ومما سبق من أقوال أهل العلم يتبين لنا أن الآية عامة تشمل كل من يقوم بفتنة المؤمنين والمؤمنات عن دينهم ويدخل فيها من باب أولى أولئك الكفار الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات وحفروا لهم أخدودا في الأرض وأوقدوا فيه النار وألقوهم فيها ويدخل فيه أيضا كفار قريش الذين آذوا المؤمنين والمؤمنات في مكة ليردوهم عن دينهم .

١-قوله تعالي " إن الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير " [١١]

قال ابن جرير -رحمه الله -" يقول تعالي ذكره : إن الذين أقروا بتوحيد الله وهم هؤلاء القوم الذين حرقهم أصحاب الأخدود وغيرهم من سائر أهل التوحيد " وعملوا الصالحات " يقول : وعملوا بطاعة الله وأتمروا لأمره وانتهوا عما نهاهم عنه " لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار " يقول لهم في الآخرة عند الله بساتين تجري من تحتها الأنهار والخمر واللبن والعسل " ذلك الفوز الكبير " يقول هذا الذي لهؤلاء المؤمنين في الآخرة هو الظفر الكبير بما طلبوا والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا وعملهم بما أمرهم الله به فيها ورضيه منهم ولا يوجد خلاف بين المفسرين في هذه الآية .قال عطية :" فهذا عام بلا خلاف في كل من اتصف بهذه الصفات [٢]

سادساً: المعني الإجمالي :-

---

(١) تتمة أضواء البيان لعطية محمد سالم (٨٥/٩)

(٢) تنمة أضواء البيان (٨٥/٩)

إن الذين عذبوا المؤمنين والمؤمنات بإلقائهم في النار من أجل صدهم عن دينهم وإرجاعهم إلي الكفر ومع ذلك استمروا علي كفرهم وعنادهم ولم يتوبوا ويرجعوا إلي الله ويتركوا ما هم عليه من الكفر ويندموا علي ما فعلوا بعباده المؤمنين فإن الله سبحانه وتعالي سوف يحرقهم بنار الآخرة والجزاء من جنس العمل وهي نار أعظم من نارهم لا يبرد حرها ولا يطفئ لهيبها ما كثين فيها لا يخرجون منها أبدا . إن الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات فإن الله تعالي يثيبهم علي ذلك جنات عظيمة تجرى فيها انهار " من ماء وعسل ولبن وخمر وفيها أنواع من النعيم المقيم الذي لا يزول ولا يحول وهذا هو الظفر العظيم والفلاح الذي لا خسران بعده

سابعاً: ما ستفاد من الآيتين :

١. الصبر علي الفتنه أولى وأفضل من الاستجابة لما يطلبه الكفار من إظهار كلمه الكفر وان كان ذلك جائزاً من باب الرخصة روى عن الحسن أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي صلى الله علية وسلم فقال لأحدهم ، تشهد أني رسول الله فقال : نعم فتركه وقال للآخر مثله فقال : لا بل أنت كذاب فقتله فقال صلي الله علية وسلم أما الذي ترك فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه وأما الذي قتل فأخذ بالفضل فهنيئاً له [١]
٢. باب التوبة مفتوح مهما عظم الذنب وطال عليه الأمد ما لم يغرغر الإنسان أو تطلع الشمس من مغربها وهذا من كرم الله تعالى ولطفه بعباده .قال الحسن البصري انظروا إلي هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلي التوبة والمغفرة [٢]
٣. التهديد الشديد والوعيد لمن يعذب المؤمنين والمؤمنات ويسعي إلي إرجاعهم عن دينهم
٤. البشارة لكل من آمن وعمل صالحا ومات علي ذلك يدخل الجنة بفضل الله ورحمته.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي (١١٣/٣١)

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩١/٨)

الفصل الثالث

[بعض من صفات الله تعالي وذكر قوم فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين والتنويه بشأن القرءان]

المبحث الأول : بعض من صفات الله تعالى

في قوله تعالي " إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدئْ ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد " [١٢-١٦]

أولا : المفردات اللغوية :

بطش : البطش : تناول الشيء بصولة (١)

والبطش يأتي علي وجهين ١- العقوبة كما في هذه الآية

٢-القوه ومنه قوله تعالي " فأهلكنا أشد منهم بطشاً [الزخرف : ٨] (٢)

يبدئ : يقال بدأت بكذا وابدأت وابتدأت أي : قد مت ، والبدء والابتداء تقديم الشيء علي غيره ضرباً من التقديم ...والله هو المبدئي المعيد (٣)

يعيد : العود : الرجوع إلي الشيء بعد الانصراف عنه (٤)

ودود : الود : محبة الشيء وتمني كونه (٥)

العرش : في الأصل شيء مسقف وجمعه عروش وسمي مجلس السلطان عرشـــا اعتبارا بعلـــوه (٦) (١)

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ١٢٩

(٢) الوجوه والنظائر في القرآن للقرعاوي ص ٢٢٣

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ١١٣

(٤) المرجع السابق ص ٥٩٣

(٥) المرجع السابق ص ٨٦٠ (٦) المرجع السابق ص ٥٥٨

المجيد : المجد: السعة في الكرم والجلال [٢]

ثانياً : الإعراب:

إن : حرف توكيد ونصب ، بطش : اسم إن منصوب بالفتحة .

ربك : مضاف إليه مجرور وهو مضاف والكاف في محل جر بالإضافة .لشديد : اللام لام التوكيد المزحلقة ، وشديد خبر إن مرفوع بالضمة

إنه : إن حرف توكيد ونصب مشبه بالفعل والهاء ضمير متصل مبني علي الضم في محل نصب اسم إن .

هو : ضمير منفصل مبني علي الفتح في محل نصب توكيد للضمير في إنه.

يبدئْ : فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر جوازا تقديره هو والجملة في محل رفع خبر إن

يعيد : معطوفة على يبدئ بالواو و تعرب إعرابها .

وهو : الواو عاطفة وهو ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ

الغفور : خبر مرفوع بالضمة

الودود : خبر ثان مرفوع

ذو العرش : ذو : خبر آخر للمبتدأ وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف و العرش مضاف إليه مجرور .

المجيد : وهو في حالة الخفض مضاف إليه مجرور

وفي حالة الرفع صفة لذو .

فقال لما يريد : خبر رابع للمبتدأ " وهو " و ما :اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥٨

(٢) المرجع السابق ص ٧٦٠

يريد : فعل مضارع مرفوع و علامة رفعه الضمة و الفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو و الجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب [١]

ثالثاً : البلاغة :

- إن بطش ربك لشديد : أكد الكلام بإن و اللام لإلزام المنكر
- " بل الذين كفروا في تكذيب " مجاز مرسل علاقته الحالية لأن التكذيب معنى من المعاني ولا يحل الإنسان فيه
  وجاء لفظ " تكذيب نكرة للدلالة على التعظيم و التهويل [٢]
- الطباق بين يبدئ و يعيد ، و صيغ المبالغة في " فقال " ، العزيز ، الحميد " [٣]

رابعاً : القراءات :-

٢. ذو العرش : قرأ الجمهور " ذو العرش " بالواو خبر بعد خبر
٣. قرأ ابن عامر في رواية " ذي العرش " بالياء : صفة لربك .
٤. المجيد : قرأ ابن كثير و نافع و ابن عمرو و ابن عامر و عاصم أبو جعفر و يعقوب بالرفع : خبر بعد خبر أو نعتاً لذو ، وقرأ الحسن و الاعمش و خلف و حمزة الكتاني بالخفض : صفة للعرش [٤] .

---

(١) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ص ٤٠٢ – ٤٠٣ باختصار
(٢) إعراب القرآن للدرويش (٤٣٦/١٠)
(٣) صفوة التفاسير للصابوني (٥٤٣/٣ –٥٤٤)
(٤) معجم القراءات (٣٧١/١٠)

خامساً : مناسبة الآيات :

يقول البقاعي في مناسبة قوله تعالى " إن بطش ربك لشديد " لما قبلها : ولما كان لا يثيب و يعذب على هذا الوجه إلا من كان في غاية العظمة قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعليل على ما له من العظمة التي تتقاصر الأفكار دون عليائها– لما للأعداء من الإنكار – : إن بطش ربك لشديد

ثم بين مناسبة الآية التي بعدها فقال : و لما كان هذا البطش لا يأتي إلا لكامل القدرة دل على كمال قدرته و اختصاصه بذلك بقوله مؤكداً – لما لهم من الإنكار " إنه " وزاد التأكيد بمبتدأ آخر ليدل على الاختصاص فقال : هو : أي وحده " يبدئ " أي يوجد ابتداء أي خلق أراد على أي هيئة أراد " ويعيد " أي ذلك المخلوق بعد إفنائه في أي وقت أراده ..."

أما مناسبة قوله تعالى " وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد ، لما قبلها فقد قال عنه : ولما ذكر سبحانه و تعالى بطشه وكان القادر على العنف قد لا يقدر على اللطف ، وان قدر فربما لم يقدر على الإبلاغ في ذلك و كان لا يقدر على محو الذنوب و أعيانها و آثارها عن كل احد بحيث لا يحصل لصاحبها عقاب ولا عتاب من أحد أصلا إلا من قادر على كل شيء قال مبيناً لجميع ذلك دليلاً على أنه الفاعل المختار ومؤكداً لخروجه عن العوائد : وهو " أي وحده " الغفور الودود " ولما كان الاختصاص يدل قطعاً على كمال القدرة أنتج ذكر هذه الاختصاصات قوله " فعال " أي على سبيل التكرار و المبالغة [1] .

و هنالك أيضا مناسبة بين قوله تعالى " إن بطش ربك لشديد انه هو يبدئ و يعيد وهو الغفور الودود " وقوله تعالى " ذو العرش المجيد " وهي انه تعالى لما ذكر من صفاته ما تعلقه بمخلوقاته بحسب ما يستأهلونه من جزاء أعقب ذلك بصفاته الذاتية على وجه

---

[1]) انظر نظم الدرر للإمام البقاعي (٢١/٣٦١-٣٦٣)

الاستطراد و التكملة بقوله " ذو العرش المجيد " تنبيهاً للعباد إلى وجوب عبادته لاستحقاقه العبادة لجلاله كما يعيدونه لاتقاء عقابه ورجاء نواله [١]

سادساً : أقوال المفسرين في هذه الآيات

١) قوله تعالى " إن بطش ربك لشديد " [١٢]

والبطش هو الأخذ بالعنف فإذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم ، وفي هذه الآية تحذير من الله تعالى لقوم رسوله صلى الله عليه وسلم أن يحل بهم من عذابه و نقمته نظير الذي حل بأصحاب الأخدود على كفرهم به و تكذيبهم رسوله و فتنتهم المؤمنين و المؤمنات منهم [٢] .

٢) قوله تعالى " إنه هو يبدئ و يعيد " في تفسير هذه الآية قولان لأهل العلم

القول الأول : يبدئ الخلق و يعيدهم وهو قول الجمهور و اختاره ابن كثير [٣]

القول الثاني : يبد ئ العذاب في الدنيا على الكفار ثم يعيده عليهم في الآخرة وهذا القول رواه العوفي ابن عباس [٤] و اختاره ابن جرير [٥]

وقد رجح عطية محمد سالم القول الأول في تتمة أضواء البيان فقال –رحمه الله –" ولكن الذي يظهر و الله تعالى أعلم هو الأول لأنه يكثر في القرآن كقوله تعالى " إنه يبدأ الخلق ثم يعيده (يونس : ٤) وقوله " قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون " (يونس : ٣٤) . [٦]

([١]) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٢٤٩)

([٢])تفسير الطبري (٢٧/٢٩٧) .

([٣]) تفسير ابن كثير (٨/٣٩)

([٤]) زاد المسير لابن الجوزى (٢٧/٢٩٩) .

([٥]) تفسير الطبري (٢٧/٢٩٩) .

([٦]) تتمة أضواء البيان (٩/٨٦) .

١. قوله تعالى : وهو الغفور الودود . [١٤]

قال ابن جرير : وهو ذو المغفرة لمن ثاب إليه من ذنوبه وذو المحبة له ، و روى عن ابن عباس في تفسير هذه الآية:

يقول: الحبيب [١] .وعن ابن زيد قال : الرحيم [٢] [٣]

فالله سبحانه و تعالى له الصفات الكاملة الجميلة فهو يغفر الذنوب و يسترها و يعفو عن صاحبها و يحب من تاب إليه و أناب وعمل الصالحات .

٢. قوله تعالى " ذو العرش المجيد " [١٥]

ذو العرش أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق و المجيد فيه قراءتان : بالرفع أي انه صفة للرب عز و جل و الجر على أنه صفة للعرش و كلاهما صحيح [٤]

وإنما أضاف العرش إلى الله و خصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات وأوسع من السماوات السبع و خلقه بهذا الوصف يدل على عظمة الخالق [٥]

٣. قوله تعالى : فعال لما يريد .. [١٦]

أي هو غفار لذنوب من شاء من عباده إذا تاب و أناب منها معاقب من أصر عليها و أقام ، لا يمنعه مانع من فعل أراد أن يفعله ولا يحول بينه و بين ذلك حائل لأن له ملك السماوات و الأرض وهو العزيز الحكيم [٦] ، فالله تعالى له القدرة التامة و المشيئة النافذة النافذة فإذا أراد شيئاً قال له كن فيكون .، وصيغة المبالغة في قوله عز وجل (فعال) للدلالة على الكثرة في الكمية والكيفية [٧] .

([١]) الدر المنثور (١٥/٣٤٤) وراه البيهقي (١٣٣) وفيه ضعف .

([٢]) فتح القدير (٥/٥٨٥)

([٣]) تفسير الطبري (٢٧/٢٩٩)

([٤]) تفسير ابن كثير (٨/٣٩١)

([٥]) صفوة التفاسير (٣/٥٤٣)

([٦]) تفسير الطبري (٢٧/٣٠٠) .

([٧]) التحرير والتنوير لابن عاشور (٣٠/٢٥٠)

سابعاً : المعنى الإجمالي للآيات :-

إن أخذ الله تعالى لأعدائه شديد لا يطاق و عذابه لا يدفع فإذا أخذ الظالم لم يفلت منه و أخذه أليم شديد يقصم ظهور الطغاة و يدمر الجبابرة و الله تعالى له القدر التامة لا يعجزه شيء أبدا فهو يبدئ الخلق من العدم ثم ينشئهم مرة أخرى و يعيدهم يوم القيامة للحساب و الجزاء .كثير العفو و الغفران لأهل المعاصي و الذنوب واسع الحلم يحب التائبين و يتودد للطائعين .

وهو صاحب العرش العظيم، عظيم الذات، واسع السلطان ،جميل الصفات له العظمة و الكبرياء أمره إذا أراد شيئاً قال له كن فيكن يفعل ما يشاء لا راد لحكمه .

ثامناً : ما يستفاد من الآيات :

١. عظمة الله و قدرته و شدة عقابه
٢. الإيمان بالبعث لأن الله تعالى كما بدأ الخلق أول مرة فهو قادر على إعادته
٣. فضل الله تعالى و كرمه و مغفرته لعباده التائبين مهما كثرت ذنوبهم
٤. إثبات صفة المحبة لله تعالى و أنه تعالى يحب عباده الطائعين و التائبين و يتودد إليهم وهو غني عنهم .
٥. الإيمان بالعرش و عظمته
٦. الإيمان بأن الله تعالى له القدرة التامة لا يعجزه شيء ، يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

المبحث الثاني: ذكر فرعون وثمود وغيرهم من المكذبين

في قوله تعالى :

" هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط " (١٧-٢٠).

أولا: معاني المفردات :

فرعون : اسم أعجمي ، ويقال : تفرعن فلان : إذا تعالى وفعل فعل فرعون ومنه قيل للطغاة الفراعنة [١]

ثمود : قيل هو أعجمي وقيل هو عربي وترك صرفه لكونه اسم قبيلة أو أرض ومن صرفه جعله اسم حيّ أو أب .

والثَّمد : هو الماء القليل [٢] .وثمود هم قوم بني الله صالح [٣]

ثانياً : الإعراب :

هل : استفهام بمعنى قد . "أتاك ": فعل ماضي مبني علي الفتح المقدر والكاف ضمير متصل مبني علي الفتح في محل نصب مفعول به

حديث: فاعل مرفوع وهو مضاف

الجنود : مضاف إليه مجرور

فرعون : بدل من الجنود مجرورة وعلامة جرها الفتحة

وثمود : معطوفه بالواو علي فرعون وتعرب إعرابها

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب ص ٦٣٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٧٦

(٣) تفسير وبيان مفردات القرآن للحمصي ص ٥٩٠

بل : حرف إضراب للاستئناف

الذين : اسم موصول مبني علي الفتح في محل رفع المبتدأ

كفروا : جملة فعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ."في تكذيب" : جار ومجرور متعلق بخبر المبتدأ .

والله : الواو عاطفة واسم الجلالة مبتدأ مرفوع

من ورائهم : جار ومجرور متعلق بالخبر و " هم " ضمير في محل جر بالإضافة ."محيط ": خبر المبتدأ مرفوع بالضمة [1]

ثالثاً : البلاغة

١. " هل أتاك حديث الجنود " الاستفهام للتشويق لسماع القصة [2]
٢. تقديم فرعون على ثمود لمراعاة الفواصل [3]
٣. " بل الذين كفروا في تكذيب " : مجاز مرسل علاقته الحالية لأن التكذيب معنى من المعاني ولا يحل الإنسان فيه [4]

وتنكير " تكذيب " يفيد التعظيم [5]

([1]) انظر الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل (٤٠٣/١٢-٤٠٤)

([2]) صفوة التفاسير (٥٤٣/٣)

([3]) تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣١٢/٣١)

([4]) إعراب القرآن وبيانه للدرويش(٤٣٦/١٠)

([5]) تفسير حدائق الروح والريحان للهرري (٣١٢/٣١)

رابعاً : مناسبة الآيات :

بعد أن ذكر الله سبحانه و تعالى جملة من صفاته الدالة على كمال قدرته وأنه يفعل ما يشاء لا يعجز شيء ولا يمتنع عليه مخلوق ذكر بعضاً ممن حاقت به عقوبته و نزلت به نقمته من الأمم السابقة كأمثال فرعون و ثمود و غيرهم ممن كذبوا رسله و فتنوا أولياءه فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

يقول البقاعي في مناسبة هذه الآية : " ولما تمت الدلالة على أن بطشه شديد قرره بما وجد من ذلك وذكره به تخويفاً لقومه و تسلية له لأن النظر في المحسوسات أمكن في النفوس فقال : " هل أتاك " أي يا أعظم خلقنا " حديث الجنود " ....

ولما كان المعلوم من السياق أن المراد من حديثهم ما حصل لهم من البطش لتكذيب الرسل لاسيما في البعث الذي السياق له وكان الواقع من بيانه بآياته موسى و صالح عليهما الصلاة و السلام أبين مما وقع بآيات غيرهم أبدل من الجنود إعلاما بأنهم أعداء الله قوله " فرعون و ثمود " ... ولما كان التقدير : نعم قد أتاني ذلك و علمت من خبرهما وغيره أنك قادر على ما تريد و لكن الكفار لا يصدقونني عطف عليه قوله " بل الذين كفروا في تكذيب "

ولما كان هذا ربما أوهم أن تكذيبهم على غير مراده سبحانه و تعالى قال دافعاً لذلك مؤكداً قدرته على أخذهم تحذيرا لهم و تسلية لمن كذبوه " و الله من ورائهم محيط " [١]

و هناك أيضا مناسبة بين قصة أصحاب الأخدود وقصه فرعون حيث أن الملك كذب الغلام وجمع الناس لمشاهدة قتله كما كذب فرعون موسي وجمع الناس لمشاهدة هزيمته أمام السحرة فأخزى الله كليهما ونصر أولياءه وآمن الحضور برب العالمين [١]

(١) نظم الدرر للبقاعي (٣٦٣/٢١ -٣٦٤)

خامساً: أقوال المفسرين في هذه الآيات :

جاء في تفسير الطبري " يقول تعالي ذكره لنبيه محمد صلي الله عليه وسلم : هل جاءك يا محمد حديث الجنود الذين تجندوا علي الله ورسوله بأذاهم ومكرهم ؟ يقول : قد أتاك ذلك وعلمته فاصبر لأذى قومك إياك ولما نالوك به من مكروه كما صبر الذين تجند هؤلاء الجنود عليهم من رسلي ولا يثنيك عن تبليغهم رسالتي كما لم يثن الذين أرسلوا إلى هؤلاء فإن عاقبة من لم يصدقك ويؤمن بك منهم إلى عطب وهلاك كالذي كان من هؤلاء الجنود ثم بين جل ثناؤه عن الجنود من هم ؟ فقال : فرعون وثمود وفرعون اجتزئ بذكره لأنه كان رئيساً لجنده ومعنى الكلام هل أتاك حديث فرعون وقومه وثمود ويقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء القوم الذين يكذبون بوعيد الله أنهم يأتهم أنباء ما قبلهم من الأمم المكذبة رسل الله ولكنهم في تكذيب بوحي الله وتنزيل والله من ورائهم محيط بأعمالهم محص لها يخفي عليه منها شيء وهو مجازيهم علي جميعها [٢]

وقال ابن كثير في تفسير هذه الآيات : هل بلغك ما احل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالي " إن بطش ربك لشديد " أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدا ، أخذ عزيز مقتدر .

وروى ابن أبي حاتم عن عمر بن ميمون قال مر النبي صلي الله علية وسلم علي امرأة تقرأ "هل أتاك حديث الجنود" فقام يستمع فقال : نعم جاءني

([١]) انظر تتمة أضواء البيان لعطية محمد سالم (٨٦/٩ ، ٨٧)

([٢]) تفسير الطبري (٣٠١/٢٧)

وقوله " بل الذين كفروا في تكذيب " أي هم في شك وريب وعناد " والله من ورائهم محيط " أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه [1]

سادساً : المعني الإجمالي للآيات :-

يخاطب الله تعالي نبيه محمداً صلي الله عليه وسلم هل جاءك خبر الطغاة الذين جندوا الجنود وجمعوا الحشود لحرب الله ورسوله وأوليائه المؤمنين كأمثال فرعون وجنوده وثمود وقوم صالح ولما كان الجواب أنه قد أتاه ذلك وعلمه وكذلك قومه يعلمون ذلك بين العلة التي تجعلهم يصرون علي كفرهم وعنادهم وهي تكذيبهم بالقرآن ، تصديقهم للرسول عليه أفضل الصلاة والسلام ، والله تعالى لا يخفي عليه ذلك فهو عليم بأقوالهم ، محيط بأفعالهم ،وسيجزيهم عليها .

سابعاً : ما يستفاد من الآيات :-

١- علو شأن النبي صلى الله علية وسلم عند ربه وتلطفه سبحانه به وتسليته له .

٢- شدة بطش الله تعالى بأعدائه وأخذه لهم بالعقوبة بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم .

٣- أخذ العبرة والعظة من إهلاك الله تعالي لقوم فرعون وثمود

٤- الحث علي تقوي الله عز وجل واجتناب ما يسخطه في جميع الأحوال لأنه سبحانه وتعالى محيط بعباده لا تخفي عليه خافيه .

(1) تفسير ابن كثير (٣٩٢/٨)

المبحث الثالث

التنويه بشأن القران في قوله تعالي

" بل هو قران مجيد في لوح محفوظ " [٢١-٢٢]

أولا : معاني المفردات :-

١- قرآن : من قرأ أي جمع ، والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلي بعض في الترتيل والقرآن في الأصل مصدر [١] .

٢- لوح : ما يكتب فيه من الخشب ونحوه وقوله تعالي " في لوح محفوظ " فكيفيته تخفى علينا إلا بقدر ما روى لنا من الأخبار [٢]

٣- محفوظ: الحفظ هو ضبط الشيء في النفس ويضاده النسيان [٣]

ثانياً: الإعراب :-

بل : حرف عطف ترادف الواو هنا

هو : ضمير رفع منفصل مبني علي الفتح في محل رفع مبتدأ

قرأن : خبر هو مرفوع بالضمة

مجيد : صفه مرفوعة

في لوح : جار ومجرور متعلقة بصفة ثابتة للقرآن .

محفوظ: نعت للوح مجرور وعلامة جره الكسرة [٤]

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب ص ٦٦٨

(٢) المرجع السابق ص ٧٥٠

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٤ .

(٤)

ثالثاً : القراءات:-

محفوظ : قراءة الجمهور بالخفض نعتاً للوح وقرأ أبو جعفر ونافع والأعرج وزيد بن علي وابن محيص وشيبه" محفوظ " بالرفع علي أنه نعت للقرآن [١]

رابعاً : مناسبة الآيات :-

لما ذكر سبحانه وتعال أن الكفار يكذبون بالرسول صلي الله عليه وسلم وبما جاء به من الحق أردف ذلك ببيان أن ما كذبوا به من الوحي إنما هو قرآن عظيم عالي المكانة متزل من الله ومكتوب عنده في كتاب محفوظ في متزله عالية .

ولما كان من تكذيبهم -وهو أعظم تكذيبهم- طعنهم في أعظم آيات القران بأن يقولوا هو كذب مختلف وإنما هو أساطير الأولين أي أكذوبتهم لا حقائق لما يخبر به مع أنه قد أقام الدليل الأعظم لنفسه بنفسه بما له من الإعجاز علي أنه حق قال معبراً بالضمير إيذانا بأنه لعظمه في كل قلب لا غيبه له أصلاً ليس لأحد حديث إلا فيه بانياً علي ما تقديره : ليس الأمر كما يزعم الكفار في القرآن : "بل هو قرأن مجيد " ثم قال – رحمه الله – ولما وصفـــه [يعني القران] بما يأبى له لحاق شيء منه شبهة وصف محله في الملأ الأعلى ، إعلاماً بأنه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال " في لوح محفوظ" [٢]

---

(١) معجم القراءات (٣٧٣/١٠)

(٢) نظم الدرر للإمام البقاعي (٣٦٦/٢١ – ٣٦٧)

خامساً : أقوال المفسرين في هاتين الآيتين :-

" بل هو قرأن مجيد " يقول تكذيباً منه جل ثناؤه للقائلين للقرآن هو شعر وسجع : ما ذلك كذلك بل هو قرآن كريم ، وقوله : "في لوح محفوظ " يقول تعالي ذكره : هو قرآن كريم مثبت في لوح محفوظ من الزيادة فيه والنقصان منه عما أثبته الله فيه ومن قرأها بالرفع علي أنه نعت للقرآن فيكون المعني : بل هو قرآن مجيد محفوظ من التغيير في لوح [1]

قال ابن كثير : بل هو قرآن مجيد أي عظيم كريم " في لوح محفوظ" أي هو في الملا الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل [2]

ووصف القران بالمجد والعظمة ليس قاصراً عليه وإنما هو وصف للقرآن ولمن تحمله بحق وقام بواجبه فإنه سيكون لهم المجد والعزة والرفعة [3]

سادساً : المعني الإجمالي :-

ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المكذبون الضالون بأن القرآن سحر أو شعر أو كهانه أو قول بشر وإنما هو كتاب عظيم كريم منزل من لدن حكيم خبير وهو مكتوب عنده في الملإ الأعلى في كتاب محفوظ من التغيير والتبديل [4]

سابعاً : ما يستفاد من الآيتين :-

١- الإيمان بالقرآن وأنه منزل من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومحفوظ من التغيير والتبديل .

٢- الإيمان باللوح المحفوظ

انتهي -بفضل الله وتوفيقه- التفسير التحليلي لسورة البروج وسنتناول في الباب الثاني أهم الموضوعات التي اشتملت عليها هذه السورة الكريمة

---

(١) تفسير الطبري (٣٠٢/٢٧)

(٢) تفسير ابن كثير (٣٩٣/٨)

(٣) انظر تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١٤٣ .

(٤) انظر تفسير جزء عم لابن عثيمين ص ١٤٣ .

الباب الثالث : التفسير الموضوعي لسورة البروج

الفصل الأول : كلمه عن التفسير الموضوعي والقسم وبعض أحكامه

المبحث الأول :كلمة عن التفسير الموضوعي وأهميته

أولا : تعريف مصطلح التفسير الموضوعي :-

يتكون مصطلح التفسير الموضوعي من جزأين :-

الجزء الأول : التفسير :

التفسير لغة: من الفسر وهو الكشف والبيان ، وجاء في مفردات الراغب " إظهار المعني المعقول "[1] والتفسير مبالغة من الفسر . قال تعالي " ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً " [الفرقان : ٣٣]. واصطلاحاً : علم يكشف به عن معاني آيات القرآن وبيان مراد الله تعالى منها حسب الطاقة البشرية [2]

الجزء الثاني : الموضوعي :

الموضوع لغة : من الوضع وهو جعل الشيء في مكان ما ، سواء كان ذلك بمعني الحط والخفض أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان ، يقال : ناقة واضعة : إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح . وقيل : وضعت تضع وضيعة فهي واضعة وكذلك موضوعة وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلي غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي التزم به [3]

اصطلاحاً : قضية أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة العقدية أو السلوك الاجتماعي أو مظاهر الكون تعرضت لها آيات القرآن الكريم [4]

---

[1]) المفردات في غريب القرآن للراغب ص ٥٧١

[2]) مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم ص ١٥

[3]) المدخل الى التفسير الموضوعي ، د : عبد الستار سعيد ص (٢٠-٢٣)

[4]) مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم ص ١٦

أما تعريف مصطلح التفسير الموضوعي: فهو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر [1].

ثانياً :نشأته :

يعتبر التفسير الموضوعي من المصطلحات الحديثة حيث ظهر في القرن الرابع عشر بهذا المفهوم الحديث إلا أن جذوره كانت موجودة منذ العهد النبوي ثم تطورت ونمت إلي أن وصلت إلي ما هي عليه الآن ومن هذه الجذور :-

١- تفسير القرآن بالقرآن :-

فالقران الكريم بالرغم من أن مواضيعه منثورة في ثناياه إلا أنه توجد وحدة موضوعية بين آياته ولذلك فإن الرسول صلي الله علية وسلم كان يفسر القرآن بالقرآن في كثير من الأحيان ومثال ذلك تفسيره لقوله تعالى " الذين أمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون " [الأنعام :٨٢]بقوله تعالي " إن الشرك لظلم عظيم " [لقمان :١٣] فهذا يعتبر من التفسير الموضوعي لأنه استدعاء للآيات المتفرقة للدلالة علي موضوع واحد، لأن آيات القران ما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر [2]

(١) المرجع السابق ص ١٦

(٢) مقدمة أصول التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٣٩

٢- التفسير الموضوعي في كتب الفقه :-

نجد أن الفقهاء يجمعون الآيات القرآنية التي تتحدث في موضوع واحد كالطهارة أو الصلاة أو الزكاة وغيرها في باب واحد لأن بعضها يكمل معنى البعض الآخر . ولذلك فإن كتب الفقه التي أخذت بهذا المنهج تعتبر من الأصول التي تطورت وأدت إلي ظهور هذا النوع من التفسير .

٣-كتب علوم القران : نجدها تجمع الآيات القرآنية المتفرقة تحت عنوان واحد كالنسخ والقسم والمشكل والجدل والأمثال ومن ذلك ماألفه الإمام ابن القيم في " أقسام القران " و" أمثال القران " .

مما سبق يتبين لنا أن التفسير الموضوعي بالرغم من أنه من المصطلحات الحديثة إلا أن له جذوراً قديمة تمتد إلي العصور الأولى ، إلا أن القرآن الكريم لغزارة موضوعاته وتنوعها ظهرت الحاجة الملحة لبحث كل موضوع علي حدة لتناول جميع جوانبه وتفصيل جزيئاته .

ثالثاً: أهميتـــه:-

١-معالجة الموضوعات المتجددة : لأن القران الكريم بالرغم من أن نصوصه محدودة إلا أن الله تعالي جعله هداية للبشرية إلى قيام الساعة وكلما ظهرت حادثة أو استجد أمر كان على الأمة أن ترجع إلى القرآن لاستنباط ما يخصه من أحكام . وما لاشك فيه أن القرآن الكريم قادر علي معالجة جميع هذه القضايا المستجدة سواء كانت فكرية أو علمية وهذا يقودنا إلي إظهار الأهمية الثانية للتفسير الموضوعي وهي :

٢- إبراز الإعجاز القرآني :-

فإننا نجد أن القرآن الكريم بالرغم من أن نصوصه محدودة إلا أنها عالجت الآف القضايا والموضوعات وفي نفس الوقت لها القدرة والاستعداد في إيجاد الحلول لما يستجد من مشكلات وصدق الله تعالى إذ يقول :" ما فرطنا في الكتاب من شيء [الأنعام :٣٨]

٣- دقة البحث والتعمق فيه :-

خصوصاً ونحن في زمن التخصصات الدقيقة فعندما نتناول كل موضوع علي حدة ثم نبحث فيه بعمق ونقوم بجمع جوانبه المتفرقة فإننا بلا شك سنصل إلي رؤية واضحة وشاملة للموضوع وفهم أكثر عمقاً لأجزائه وهذا الأمر لا يمكن توفره في الدراسات العمومية أو تناول النصوص بصورة متفرقة .

ومن أجل زيادة الإيضاح فإني قمت – بفضل الله تعالى- بتتبع المواضيع التي أشارت إليها سورة البروج ومن ثم إلقاء الضوء عليها من نصوص الكتاب والسنة لإبراز أهم جوانبها وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بها مع الأخذ في الاعتبار مراعاة الاختصار بقدر الإمكان ومن هذه المواضيع موضوع القسم والفتنة والتوبة وأسماء الله الحسني وصفاته العليا و العرش والقرآن الكريم واللوح المحفوظ . والتي سنتناولها في مباحث هذا الباب وبالله التوفيق.

المبحث الثاني :القسم في القرآن والحكمة منة وأنواعه وبعض أحكامه

أولاً : القسم في القران والحكمة منه :

القسم من الأساليب القرآنية وقد عده الإمام السيوطي –رحمه الله – من علوم القرآن في النوع السابع والستون في كتابه الإتقان [1].

وذلك لأن القرآن نزل بلغة العرب فجاء علي طريقتهم في الكلام وأسلوبهم في التخاطب ، وكان من عادتهم الصدق في الحديث والوفاء بالعهد والتتره عن الكذب، ولذلك فإن أبا سفيان لما سأله هرقل عن الرسول صلي الله عليه وسلم أجابه بصدق خوفاً من أن تؤثر عنه كذبة تعيره بها العرب [2] .فكان الغالب علي أقوالهم وأخبارهم الصدق إلا أنهم في بعض الأحيان يحتاجون إلي تأكيد كلامهم ببعض المؤكدات ، ومن أعظم هذه المؤكدات عندهم القسم .

فإذا قيل : إن المتكلم إنما يحلف لحاجته للقسم واليمين في تأكيد كلامه ، أما الله عز وجل فإنه غير محتاج إلي ذلك لأنه سبحانه وتعالى أصدق القائلين .فما هو الجواب .؟

قلنا : الجواب علي هذا من عدة وجوه : منها :–

١- أن القرآن نزل بلغة العرب وجرى علي سننهم وأساليبهم ف الكلام ومنها القسم .

٢- أن وجود القسم في القران أبلغ حجة علي صدق النبي صلي الله علية وسلم إذ لو كان كاذباً في هذه الأيمان لأصابه خراب الديار وانقلاب الحال وكانت العرب تعتقد حصول ذلك لمن حلف بالأيمان الكاذبة وذلك مما عرفوه بالتجربة والوقائع المتكررة.

٣- القسم يأتي لأغراض أخري غير التأكيد منها : تعظيم المقسم به أو المقسم عليه .

٤-القسم في القران فيه تأكيد للحجة علي الناس وكمالها [3] .

[1]) الإتقان للسيوطي (٣٧٠/٢)

[2]) انظر صحيح الإمام البخاري

[3]) انظر التبيان في أيمان القرآن لابن القيم ص (١١-١٤)

ثانياً : أنواع القسم في القران وبعض أحكامه ينقسم القسم في القرآن إلي قسمين :-
القسم الأول : ما اقسم الله سبحانه وتعالى به وهو ثلاثة أنواع :-
النوع الأول : إقسامه سبحانه وتعالي بذاته العلية ومثاله قوله تعالى " فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ..." [النساء :٦٥].
النوع الثاني : إقسامه تعالى بأفعاله وصفاته العلية كما في قوله تعالى " والسماء وما بناها والأرض وما طحاها ونفس وما سواها " [الشمس : ٥-٧]
النوع الثالث : إقسامه سبحانه وتعالي ببعض مخلوقاته – كالقسم الذي مر معنا في أول سورة البروج – والله سبحانه وتعالى يقسم بالأشياء العظيمة التي تدل علي كمال قدرته ويقسم أيضاً بالأشياء المباركة كإقسامه تعالى بالفجر والليالي العشر وذلك لعظمتها وبركتها .
وهنا مسألة : كيف جاء القسم بهذه المخلوقات في القرآن وقد نهى الشرع المطهر عن الحلف بغير الله ؟ والجواب : أن الله سبحانه وتعالى لا يسأل عما يفعل وله الحكمة البالغة فهو يقسم ببعض مخلوقاته الدالة علي عظمته وقدرته أو يقسم ببعض الأشياء المباركة لينبه علي شرفها وفضلها .
وقد أنكر بعض العلماء أنها من باب القسم إلا أن المحققين من أهل العلم علي خلافهم وأنها من باب القسم حقيقة .قال ابن كثير:والذي عليه الجمهور أنه قسم من الله عز وجل ،يقسم بما شاء من خلقه وهو دليل علي عظمته " [1]
القسم الثاني : الأقسام التي ذكرها الله عز وجل عن بعض خلقه كقوله عن إبراهيم عليه السلام " وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين "[الأنبياء : ٥٧]

(1) تفسير ابن كثير (٥٤٣/٧) .

والقسم بالنسبة للمخلوق له أحكام قررها الشارع الحكيم منها :-

١-لا يجوز للمخلوق أن يحلف إلا بالله أو صفة من صفاته ، ومن حلف بغير الله فقد أشرك كما جاء في الحديث " من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك " [(١)]

٢-ينبغي تعظيم اليمين ، فلا يحلف بالله إلا عند الحاجة ومن حلف بالله فعليه أن يصدق ومن حلف له بالله فعليه أن يرضى تعظيماً لله لقوله صلي الله علية وسلم " من حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله" [(٢)]

٣-من حلف علي يمين وهو يعلم أنه كاذب فقد وقع في اليمين الغموس – أي التي تغمس صاحبها في النار – ويجب عليه أن يتوب إلي الله ولا كفارة لها إلا التوبة لأن ذنبه أعظم من أن تمحوه كفارة اليمين .

٤-من حلف علي يمين وحنث فيها وجبت عليه الكفارة التي جاء ذكرها في قوله تعالى " لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم " [المائدة : ٨٩]وهي من كبائر الذنوب لحديث الأعرابي الذي سأل النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر ؟ فقال الإشراك بالله ، قال : ثم ماذا ؟ قال: ثم عقوق الوالدين ، قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم اليمين الغموس" [(٣)] .

---

(١) أخرجه احمد في المسند (٦٩/٢ ، ٨٦) وأبو داود (٥٧٠/٣) حديث رقم (٣٢٥١) والترمذي (١١٠/٤) حديث رقم (١٥٣٥) .

(٢) سنن ابن ماجة (٢٩٨/٦)

(٣) صحيح ابن حبان (١٤٨/٢٣) حديث رقم (٥٦٥٣) .

الفصل الثاني : الفتنة والتوبة وفية مبحثان :-

المبحث الأول : معني الفتنة وموقف المسلم منها :

أولاً : معني الفتنة لغة :

قال ابن فارس: " الفاء والتاء والنون أصل صحيح علي الابتلاء والاختبار [1] تقول : فتنت الذهب :إذا أدخلته لتنظر ما جودته وهو مفتون وفتين [2] وسمي الصائغ : الفتان لإذابته الذهب والفضة في النار [3] ويسمي الشيطان الفتان لأنه يفتن الناس ومن الفتنة أيضاً الإحراق . ولها معاني أخرى تدور حول الابتلاء والاختبار والشدة .

ثانياً : معاني الفتنة في القرآن :

جاءت الفتنة في القرآن بمعان متعددة سنذكر ثلاثة منها – تجنباً للإطالة [4] –مع ذكر الأدلة عليها ، فمن معانيها :-

١-الابتلاء والاختبار ، كما في قوله تعالى " الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون " [العنكبوت : ١-٢] ومعني يفتنون : يختبرون ويمتحنون لمعرفة الصادق من الكاذب

٢-الشرك : كما في قوله تعالى :" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة " [البقرة : ١٩٣]قال ابن كثير : حتى لا تكون فتنة : أي شرك [1] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤٧٢/٤) مادة فتن .

(٢) الصحاح للجوهري (٢١٧٥/٦) مادة فتن .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (٢٩٨/٩) .

(٤) انظر كتاب : الفتنة وموقف المسلم منها في ضوء القرآن للسحيباني ص ٢٩-٣٤ .

ثالثاً : سنة الله عز وجل في ابتلاء المؤمنين :

من حكمة الله سبحانه وتعالى أن جعل هذه الدنيا دار ابتلاء واختبار وتمحيص ولذلك فهي دائماً في كدر ،والإنسان فيها يمر بالمحن " لقد خلقنا الإنسان في كبد " [البلد، ٤] فمن صبر ابتغاء وجه الله واحتسب ، فإن الله تعالى يجازيه خير الجزاء ويدخله جنات عرضها السموات والأرض تجري من تحتها الأنهار وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل ، ويبتلى الرجل علي حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقة ابتلاه الله حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي علي الأرض ما عليه خطيئة [٢]

فسنة الله تعالى في أنبيائه أن يبتليهم بأعدائهم رفعة لدرجاتهم كما قال تعالي " وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين " [الفرقان :٣١]. وقد ابتلي الله سبحانه وتعالي نبيه وحبيبه محمد صلي الله عليه وسلم فأوذي في الله أشد الأذى وشج وجهه وكسرت رباعيته وسال الدم علي وجهه وهو صابر محتسب يدعو لقومه :رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون وابتلي الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام بذبح ابنه فاستجاب لربه وامتثل أمره فرفع الله عنه البلاء وفدى ابنه بذبح عظيم . وابتلى عبده داوود عليه السلام بالخصمين " وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفي وحسن مآب " [ص :٢١-٢٥] وقد امتن الله تعالى على موسى عليه السلام بفتنته إياه في قوله تعالى " فرجعناك إلي أمك كي تقر عينها ولا تحزن وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً ولقد مننا عليك مره أخرى ..." [طه : ٤٠ -٤١] .

([١]) تفسير ابن كثير (٥٢٥/١) .

([٢]) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦٩/١) والترمذي في سننه (٦٠١/٤) وإسناده حسن .

" وقد يقال : أن الفتن التي ابتلي بها موسي عليه السلام كانت فتناً شديدة ، وبلايا قاسية فلم عدت في جملة النعم التي ذكرها الله تعالى لنبيه موسى عليه السلام ؟ ويجاب عن ذلك بأن الفتنة تشديد المحنة ، ولما كان التشديد في المحنة مما يوجب كثرة الثواب لا جرم عده الله تعالى من جملة النعم " [1] .

وكما يبتلي الله الأنبياء فإنه أيضا يبتلي عباده المؤمنين ليكفر عنهم سيئاهم ويرفع لهم درجاهم ومن ذلك فتنة أصحاب الأخدود الذين مرت قصتهم هذا البحث وكذلك ما لقيه أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم من أذى المشركين في مكة . ولا تزال الفتن تتوالى علي المؤمنين إلي قيام الساعة ، بل كما اقترب الزمان زادت الفتن وعظم البلاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي مؤمناً ويصبح كـــافراً يبيع دينه بعرض من الدنيـــا قليل "[2]

رابعاً: بعض أنواع الفتن :

الفتن كثيرة ومتنوعة ، ومنها :-

١- الفتنة لأجل الدين وذلك بالتعذيب أو الإغراء من قبل الكفار للمسلمين ليتركوا دينهم أو يتنازلوا عن بعضه " وان كادوا ليفتنونك عن بعض الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً "[الإسراء : ٧٣-٧٤]

٢-فتنة الاختلاف والتفرق بين المسلمين ووقوع القتال بينهم

(١) انظر التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٢/٥٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان:باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/١١٠) حديث رقم (١١٨) .

٣-فتنة النساء والتي قال عنها الرسول صلي الله عليه وسلم " ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء " [١]

٤-فتنه المال : قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " إن لكل أمه فتنة وفتنة أمتي المال " [٢] ومن فتنة المال كسبه بالطرق المحرمة والانشغال به عن الطاعة وإنفاقه في المعصية .

خامساً: ما يجب علي المسلم تجاه الفتن [٣] :-

١- اللجوء إلي الله تعالي ولزوم التقوى والأعمال الصالحة "ومن يتق الله يجعل له مخرجا" (الطلاق :٢) ،والإكثار من التوبة والاستغفار والاستعانة بالصبر والصلاة " واستعينوا بالصبر والصلاة " [البقرة، ٤٥]

٢- الاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم الجماعة لقوله تعالى :" واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا " [آل عمران : ١٠٣] ، ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العرباض بن سارية : " وإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة " [٤]

٣-كف اللسان واليد عن الشر عند وقوع الفتنة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تكون فتنة تستنظف العرب ، قتلاها في النار ، اللسان فيها أشد من وقع السيف "[٥].

---

(١) البخاري في كتاب النكاح باب ما يتقى من شؤم المرأة حديث رقم ٥٠٩٦ (٤١/٩)

(٢) الترمذي (٥٦٩/٤) حديث رقم ٢٣٣٦ وصححه الألباني في صحيح الترمذي برقم ٥٩٤ .

(٣) انظر موقف المسلم من الفتن في ضوء الكتاب والسنة لأبي أنس حسين الحازمي ص ٣١٣

(٤) الترمذي (٤٤/٥) حديث رقم ٢٦٧٦ وصححه الألباني في الصحيحة (٦٤٧/٢) برقم ٩٣٧

(٥) أخرجه أبو داود في الفتن باب كف اللسان في الفتنة (٤٦١/٤) برقم (٤٢٢٦٥) وابن ماجة (١٣١٢/٢) برقم (٣٩٦٧) وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجة برقم ٣١٩ .

٤- الأحرى بالمسلم أن لا يتكلم في الفتنة أو يتصدر للفتوى بل يرجع إلى أهل العلم الراسخين ليبينوا له الحق امتثالاً لأمر الله تعالى: " وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وأولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم " [النساء :٨٣]. نسأل الله تعالى بأسمائه الحسني وصفاته العليا أن يعصمنا جميعاً من مضلات الفتن وأن يصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا وأن يصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأن يصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا وأن يجعل الحياة زيادة لنا من كل خير وأن يجعل الموت راحة لنا من كل شر وصلى الله على نبيه محمد وعلي آله وصحبه وسلم .

المبحث الثاني : التوبة إلى الله عز وجل:–

جاء ذكر التوبة في القرآن في حوالي سبعين موضعاً مما يدل علي أهميتها وعظيم شأنها ، وشدة حاجة العباد إليها ، لأن الإنسان بطبعه كثير الخطأ ويقع في المعاصي ويقصر في الواجبات ، ولا سبيل للنجاة من تبعات ذلك إلا بتوبة نصوح لله تعالى وينال بها العبد رضوان الله وسعادة الدنيا والآخرة ولأهمية هذا الموضوع والذي جاءت الإشارة إليه في سورة البروج في قوله تعالى " ثم لم يتوبوا " فستناوله من بعض جوانبه المهمة علي ضوء الكتاب والسنة وبالله التوفيق.

أولا : مفهوم التوبة :

التوبة لغة : هي الرجوع عن الذنب ، وأصل تاب :عاد إلى الله ورجع وأناب ، وتاب الله على فلان أي عاد عليه بالمغفرة [١] وقبل توبته .

وشرعاً : هي الندم بالقلب وترك المعصية في الحال والعزم علي ألا يعود إلى مثلها ون يكون ذلك حياء من الله [٢] .

ويلاحظ علي هذا التعريف أمران :–

١- لم يشتمل علي شرط إرجاع الحقوق إلي أهلها في حالة تعلق الذنب بالآخرين .

٢- اشتمل على أمر مهم وهو الإخلاص في التوبة لوجه الله تعالى لأن من ترك الذنب لأجل الناس أو عجزاً فلا يعتبر تائباً .

---

(١) لسان العرب لابن منظور (١/٢٣٣)

(٢) تفسير القرطبي (٥/٩١)

ثانياً: حكم التوبة :

يجب علي المسلم أن يتوب من جميع ذنوبه علي الفور. لأنه لا يدرى متى يأتيه الموت ، والدليل علي ذلك قوله تعالى : " وتوبوا إلي الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون " [النور ،٣١] ، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم : " يأيها الناس توبوا إلي الله ، فإني أتوب في اليوم إليه مائة مرة " [1]وتصح التوبة إجمالا من جميع الذنوب وأما ما علم تفصيلاً فإنه لابد من التوبة منه تفصيلاً . وعلي العبد أن يكرر التوبة كلما تكرر منه الذنب .

ثالثاً: شروط التوبة :

للتوبة شروط لابد أن تتوفر فيها حتى تكون توبة مقبولة عند الله عز وجل ومن هذه الشروط :-

١- الإسلام فلا تصح من الكافر حتى يتوب من الكفر والشرك

٢- الإخلاص ٣- الاعتراف بالذنب ٤- الندم ٥- الإقلاع

٦- العزم علي عدم العود ٧- رد المظالم إلي أهلها ٨- أن تكون قبل الغرغرة وقبل طلوع الشمس من مغربها.

رابعاً: أهمية التوبة وفضلها :-

١-أن الله تعالي يفرح بتوبة عبده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط علي بعيره وقد أضله في أرض فلاة " [2]

٢-التوبة سبب لغفران الذنوب وتكفير السيئات ،وهذا من جود الله تعالى وكرمه أنه سبحانه يغفر الذنوب وإن عظمت وتكررت مادام العبد يتوب إليه ويرجع كلما أذنب ذنباً. روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز

([1]) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٤٧٤/٢)

([2]) البخاري باب التوبة في ضوء القرآن الكريم للدكتورة آمال نصير ص ٤٣-٤٤ .

وجل قال : أذنب عبدي ذنباً فقال : اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدي فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأذنب فقال :أي رب اغفر لي .فقال تبارك وتعالي : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال :أي رب اغفر لي .فقال تبارك وتعالي : أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب .اعمل ما شئت فقد غفرت لك " قال النووي –رحمه الله – الحديث ظاهر الدلالة أنه لو تكرر الذنب مائة مرة أو ألف مرة أو أكثر وتاب في كل مرة قبلت توبته وسقطت ذنوبه ولو تاب عن الجميع توبة واحدة بعد جميعها صحت توبته" [١]

٣- التائب من الذنب تبدل سيئاته حسنات لقوله تعالى :" إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات " [الفرقان : ٧٠].

[١] صحيح مسلم مع شرح النووي (٧٥/١٧) .

الفصل الثالث

أسماء الله الحسني وصفاته العليا الواردة في السورة وعرش الرحمن والقرآن الكريم واللوح المحفوظ

المبحث الأول : أسماء الله الحسنى وصفاته العليا الواردة في سورة البروج

أولا: تعريف الأسماء الحسنى وعلاقتها بالصفات :

الأسماء الحسنى هي التي يدعى الله بها والتي جاءت في الكتاب والسنة وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها [1]

وهذا التعريف مطابق لقوله تعالي " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " وقد اشتمل على شرطين للاسم ، هما :-

١- ورود النص من القران أو السنة بذلك الاسم أي أنها توقيفية

٢- صحة الإطلاق وذلك بأن يقتضي الاسم المدح والثناء بنفسه [2]

أما الصفات فهي أوسع من الأسماء فكل اسم يدل علي صفة وليس كل صفة يشتق منها اسم ، فالله سبحانه وتعالى يوصف بصفات كالكلام والإرادة والاستواء ولكنه سبحانه وتعالى لا يسمي المتكلم والمريد والمستوي لأن في هذه الأسماء عموم وإطلاق لما يحمد ويذم أما أسماء الله الحسني فإنها لا تدل في حال إطلاقها إلا على ما يحمد به الرب ويمدح [3]

ثانياً: موقف أهل السنة والجماعة من الأسماء والصفات:

موقف أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات يقوم علي الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة من أسماء الله الحسنى وصفاته الكاملة العليا ، فيسمون الله تعالى بما سمي به نفسه في كتابه أو علي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير زيادة أو نقصان ،

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥ .

(٢) انظر معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للدكتور محمد بن خليفة التميمي ص ٤١ .

(٣) نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١١/٢) .

ويثبتون لله عز وجل ما وصف به نفسه في كتابه أو علي لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل وينفون عنه ما نفاه عن نفسه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مع اعتقاد أن الله تعالى موصوف بكل كمال يضاد تلك الصفات المنفية عنه [1]

فمنهج أهل السنة والجماعة – وهو المنهج الحق بلا أدنى شك أو ريب :– في باب الأسماء والصفات يقوم علي ثلاثة أسس [2] وهي :–

١- تنزيه الله تعالى عن مشابهة الخلق .

٢- الإيمان بالصفات الثابتة بالكتاب والسنة وعدم التعرض لنفيها وعدم التهجم على الله ينفي ما أثبته لنفسه .

٣- قطع الطمع عن إدراك الكيفية " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير " [الشورى :١١]

ثالثاً : الأسماء التي وردت في سورة البروج ومعانيها:–

١- الله : قال الحليمي في معنى الله : أنه الإله .وهذا أكبر الأسماء وأجمعها للمعاني [3] والإله هو المعبود تذللا ومحبة وتعظيماً.

٢- العزيز : وهو المنيع الذي لا يغلب [4]

٣- الحميد : المحمود ، فالله سبحانه وتعالى هو المستحق لجميع المحامد فهو سبحانه وتعالى مع عزته وقوته ومنعته حسن الخصال، جميل الفعال [5] .

٤- الرب: وقد جاء في سورة البروج مضافاً إلي كاف الخطاب في قوله تعالى "إن بطش ربك لشديد " [6] والرب هو الخالق المدبر الذي ربى جميع العالمين بنعمه .

---

(1) انظر مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات للدكتور محمد نجيب بن خليفة التميمي ص ٢١

(2) انظر منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات للشنقيطي ص ٢٥

(3) الأسماء والصفات للبهيقي ص ٣٤ .

(4) المرجع السابق ص ٥١

(5) المرجع السابق ص ٥٧

(6) شرح الأصول الثلاثة لابن عثيمين ص ٤٦ .

٥-الغفور : الستور ، يقال غفرت الشيء اغفره غفراً إذا سترته ، والله عز وجل غفور لذنوب عباده أي يسترها ويتجاوز عنها [١] .

٦-الودود : يحب عباده الصالحين [٢] .

٧-المجيد : الكريم المبالغ في الكرم المتناهي فيه [٣]

٨- الفعال لما يريد : مأخوذ من قوله تعالى " ذو العرش المجيد ، فعال لما يريد " وممن ذكر هذا الاسم البيهقي والحليمي وابن الوزير ومعناه الفاعل فعلاً بعد فعل كلما أراد فعل وليس كالمخلوق الذي إن قدر علي فعل عجز عن غيره [٤]

٩- المحيط : ودليله قوله تعالي " إلا إنه بكل شيء محيط " وممن ذكره ابن عينية والبيهقي وابن القيم وابن حجر والسعدي وابن عثيمين وغيرهم [٥]

ومعناه : أي أنه الذي لا يقدر علي الفرار منه [٦] .

رابعاً : الصفات الواردة في السورة :-

كل اسم من الأسماء الحسني يدل علي صفة من صفات الله عز وجل علي أكمل الوجوه وأتمها ومن هذه الصفات :

١- الألوهية ٢- العزة ٣- الحمد ٤- الربوبية ٥- المغفرة ٦- المودة ٧- المجد ٨- الإرادة ٩- الإحاطة

(١) اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ٩٤

(٢) المرجع السابق ص ١٥٢ .

(٣) اشتقاق أسماء الله للزجاجي ص ١٥٢

(٤) انظر معتق أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص ٢١٨ .

(٥) انظر معتق أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى للتميمي ص ٢١٨ .

(٦) الأسماء والصفات للبهيقي ص ٥٨ .

المبحث الثاني : عرش الرحمن:-

أصل العرش في اللغة : السرير الذي يختص به الملك [1]

وعرش الرحمن هو أعظم المخلوقات ، وقد جزم شيخ الإسلام بأنه يختلف عن الأفلاك وذلك في رده على من زعم أن العرش هو الفلك التاسع وبين -رحمه الله - أنه ليس لهم علي ذلك دليل شرعي ولا عقلي وذكر أن الأخبار تدل علي مباينته لغيره من المخلوقات ونسبته إليها ليس كنسبة بعضها إلي بعض [2] .

ومما يدل علي عظمته قوله صلى الله عليه وسلم " ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة وفضل العرش علي الكرسي كفضل الفلاة علي الحلقة [3] .

والعرش مخلوق قبل السموات والأرض لقوله تعالى " وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه علي الماء" [هود:٧]

وقد وصفة الله عز وجل بالعظمة والمجد في قوله تعالي " ذو العرش المجيد " علي قراءة الخفض ،ووصفه بالكرم في قوله تعالى : " فتعالى الله الملك الحق لا اله إلا هو رب العرش الكريم " [المؤمنون :١١٦]

وأخبر سبحانه أن للعرش حملة من الملائكة يسبحون الله ويستغفرون للمؤمنين " الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين أمنوا ..." [غافر : ٧] ويحمله يوم القيامة ثمانية " ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية " [الحاقة :١٧]

([1]) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣٧٤/١)

([2]) انظر عرش الرحمن لشيخ الإسلام ص ١٣-١٥ .

([3]) ابن حيان (٢١٣/٢) حديث رقم ٣٦٢ .

وله قوائم أخبر عنها الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه في قوله : " لا تخيروني بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقته "[1]

والعرش أثقل المخلوقات لقوله صلى الله عليه وسلم : " سبحان الله زنة عرشه ...." [2]

وقد اختصه الله سبحانه وتعالى بصفة الاستواء في قوله تعالى : " الرحمن علي العرش استوى" [طه :٥] وأهل السنة والجماعة يؤمنون باستواء الله عز وجل علي عرشه استواء يليق بجلاله من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل مع اعتقادهم أنه سبحانه مستغن عن العرش وما دونه [3] ولهم علي ذلك أدلة كثيرة [4]

منها قوله تعالى " إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش" [الأعراف : ٥٤]

ومن السنة حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للجارية : أين الله ؟ قالت في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : اعتقها فإنها مؤمنه [5] .

وكان عبد الله بن رواحة رضي الله عنه ينشد قائلا:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف وفوق العرش رب العالمينا

(1) البخاري (٢٥٨/٨) حديث رقم ٢٢٣٥ .

(2) مسلم (٢٥٨/٣) حديث رقم ٤٩٠٥ .

(3) انظر جامع الدروس العقدية في شرح العقيدة الطحاوية لمجموعة من العلماء ص ١٩٩

(4) انظر على سبيل المثال مصنف العلو للإمام الذهبي

(5) أخرجه مسلم (١٤٠/٣) حديث رقم ٨٣٦

وتحمله ملائكة شداد ملائكة الإله مسومينا [1]

وروى يحيى بن يحيى التميمي وجعفر بن عبد الله وطائفة : قالوا : جاء رجل إلي مالك فقال : يا أبا عبد الله ! الرحمن على العرش استوى " كيف استوى ؟ قال فما رأيت مالكاً وجد من شيء كموجدته من مقالته وعلاه الرحضاء [يعني العرق] واطرق القوم ، فسري عن مالك وقال : الكيف غير معلوم والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإني أخاف أن تكون ضالاً وأمر به فأخرج " قال الذهبي : هذا ثابت عن مالك ونحوه عن شيخه ربيعه [2]

فعلى المسلم أن يؤمن باستواء الله عز وجل علي عرشه كما أخبر عن نفسه بلا كيف ولا تمثيل.

---

(1) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (١٣٩/٣)

(2) العلو للإمام الذهبي ص ١٣٩

المبحث الثالث : القرآن الكريم واللوح المحفوظ:-

أولا : القران الكريم :-

القران لغة مشتق من قرأ الشيء قرءانا أي جمعه وضمه ومنه سمي القرآن لأنه يجمع السور ويضمها [1] ومن الممكن أي يكن بمعني " تلا" لأن الله سبحانه وتعالى غاير بين الجمع والقراءة في قوله تعالى : " إن علينا جمعه وقرْآنه " [القيامة:١٧] [2]

إما اصطلاحاً فالقرآن هو كلام الله المترل علي محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس " [3]

ومن أشهر أسمائه : القرآن والفرقان والكتاب والتتريل والذكر [4]

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن كلام الله منه بدأ قولا بلا كيف ًوأنزله على رسوله وحيا ً وصدقه المؤمنون علي ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر ،وقد ذمه الله وعابه وتوعده بسقر [5] .

قال ابن القيم -رحمه الله - في نونيته :

وكذلك القرآن عين كلامه ... مسموع منه حقيقة ببيان
هو قول ربي كله لا بعضه ... لفظاً ومعنى ما هما خلقان
تتريل رب العالمين ووحيه ... اللفظ والمعنى بلا روغان [6]

---

(1) مختار الصحاح : مادة ق ر أ (٢٥١/١) .

(2) أسماء القرآن وأوصافه لعمر الدهيشي ص ٤١

(3) انظر المدخل لأبي شهبة ص ٢٠

(4) انظر أسماء سور القرآن وفضائلها للدكتورة منيرة الدوسري ص ٣١ .

(5) جامع الدروس العقدية شرح العقيدة الطحاوية (٣٧٦/١)

(6) نونية ابن القيم ص ٣٨

وهذا هو الاعتقاد الصحيح في القرآن أنه كلام الله حقيقة خلافاً لما ذهب إليه المعتزلة من أنه مخلوق وامتحنوا أئمة أهل السنة بسبب ذلك كالإمام أحمد بن حنبل وغيره .

والقرآن يرفع في آخر الزمان [١] فلا يبقي منه شيء في صدر أو سطر ويكون ذلك عندما يهجر القرآن ويعرض الناس عنه إعراضا كلياً لا يتلونه لفظاً ولا عقيدة ولا عملاً لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجروه وأعرضوا عنه ولم يقدروه قدره [٢].

ثانياً : اللوح المحفوظ :-

عرفه العلامة ابن أبي العز قائلاً : هو الذي كتب الله مقادير الخلائق فيه [٣]

وسمي محفوظاً لأنه محفوظ من أيدي الخلق فلا يمكن أن يلحق أحد به شيئاً أو يغير به شيئاً أبداً ولأنه محفوظ من التغيير [٤]

واللوح المحفوظ فوق السماوات وجاء في الحديث أنه لا ينظر فيه أحد غير الله عز وجل[٥] . ولذلك فإنه لا يعلم حقيقته إلا الله وعلينا أن نؤمن به وإن لم نعلم كيفيته وحقيقته . واعتقاد أن بعض الصالحين يطلعون على ما فيه كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى [٦] وقد كتب الله فيه مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة لقوله صلي الله علية وسلم " فأول ما خلق الله القلم ، قال له : اكتب : قال :ما اكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلي يوم القيامة " [٧]

والقرآن مكتوب في اللوح المحفوظ لقوله تعالى " بل هو قران مجيد في لوح محفوظ [٢٢] .

([١]) دل عليه أثر مروي في مجمع الزوائد (٣٣٠/٧)

([٢]) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٤٢٩/١)

([٣]) جامع الدروس العقدية في شرح العقيدة الطحاوية (١٦٣/٢)

([٤]) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢٣٧/١)

([٥]) أبو داود (٤٧٠٠) والترمذي (٢١٥٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٠١٧) .

([٦]) انظر كلام الشيخ الألباني في جامع الدروس العقدية في شرح العقيدة الطحاوية (١٦٢/٢)

([٧]) مصنف ابن أبي شيبة (١٠١/١٤) .

الخاتمة

نختم هذا البحث بذكر أهم الفوائد المستنبطة والنتائج التي توصلنا إليها من خلال تفسير هذه السورة الكريمة وهي كما يلي :-

١) الله سبحانه وتعالي يقسم بما شاء من مخلوقاته لإقامة الحجة علي عباده وتنبيهاً علي عظمة هذه المخلوقات الدالة علي عظمته وقدرته ، أو الإشارة إلي أهمية الأشياء المقسم بها وبركتها وتعظيماً للأمور المقسم عليها .

٢) أخذ العبرة والعظة من قصة أصحاب الأخدود الذين فتنوا المؤمنين فتنة عظيمة بسبب إيمانهم بالله فأحرقوهم بالنار فثبت أولئك المؤمنون وصبروا على البلاء وآثروا الباقية علي الفانية .

٣) من حكمة الله عز وجل أنه يسلط الكفار في بعض الأحيان علي المسلمين في هذه الحياة الدنيا ليزداد الكفار إثما علي إثمهم فيستحقون بذلك أشد أنواع العذاب في الدنيا والآخرة ويمحص الله المؤمنين بهذا الابتلاء ويكفر عنهم سيئاتهم ويرفع درجاتهم .

٤) شدة بطش الله عز وجل بأعدائه واليم أخذه وعقابه .

٥) سعة فضل الله تعالى وكرمه وسعة حلمه ومغفرته حيث يقبل التوبة من عباده مهما فعلوا من ذنوب عظيمة إذا رجعوا إليه وأنابوا ما دام ذلك في زمن الإمهال أي قبل طلوع الشمس من مغربها أو بلوغ الروح الحلقوم.

٦) لله سبحانه وتعالي الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا ويجب علينا أن نؤمن بما جاء منها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف .

٧) وجوب الإيمان بالعرش وأنه أعظم المخلوقات.

٨) علو شأن القرآن فهو كلام الله تعالى منه بدأ و إليه يعود .

٩) الإيمان باللوح المحفوظ وأنه في السموات العلا وأنه مشتمل علي مقادير الخلائق ولا يلحقه تغيير .

١٠) تمت كتابة هذا البحث –ولله الحمد– في مكتبة المسجد النبوي الشريف يوم الجمعة الثاني من شهر جمادي الثاني من عام ١٤٣٢ هجرية الموافق ٢٠١١/٥/٦ م ، اسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يغفر ما فيه من الخطأ والزلل وأن ينفع به كاتبه وقارئه إنه على كل شيء قدير وصلى الله غلى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

(١) بحوث في أصول التفسير ومناهجه – فهد الرومي –مكتبه التوبة – الرياض – الطبعة الرابعة ١٤١٩هـ .

(٢) الإتقان في علوم القران للإمام أبي بكر السيوطي دار إحياء العلوم – بيروت–الطبعة الأولي ١٤٠٧هـ .

(٣) أسماء القران وأوصافه في القران الكريم – عمر الدهيشي – دار ابن الجوزي –الدمام – الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ .

(٤) أسماء سور القران وفضائها – الدكتورة منيرة الدوسري – دار ابن الجوزي – الدمام الطبعة الأولي ١٤٢٦هـ .

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي – دار الكتب العلمية – بيروت ١٤٢٢هـ .

(٦) اشتقاق أسماء الله – أبو القاسم الزجاجي – مؤسسه الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .

(٧) تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضي الزبيدى – مكتبة دار ابن الجوزي – الطبعة الأولي ١٤١١هـ .

(٨) تأويل مشكل القران لابن قتيبة دار أحياء الكتب العربية .

(٩) التبيان في إعراب القران – دار الجبل – بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .

(١٠) التبيان في أيمان القران لابن القيم – دار عالم الفوائد .

(١١) تتمة أضواء البيان – عطية محمد سالم – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤١٧هـ .

(١٢) التحبير في علم التفسير – السيوطي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ .

(١٣) التحرير والتنوير – لابن عاشور – الدار التونسية للنشر .

(١٤) التوبة في ضوء القران الكريم – د: أمال نصير – دار الأندلس الخضـــراء – الطبعـــة الأولي ١٤١٩هـــ .
(١٥) تيسير الكريم الرحمن – ابن سعدي – مكتبة العبيكان – الطبعة الأولي ١٤٢٢هـــ .
(١٦) تفسير ابن كثير – دار الرسالة العالمية – الطبعة الأولي ١٤١٨هـــ .
(١٧) تفسير البغوي (معالم التنزيل) – للإمام البغوي – دار ابن حزم – بيروت – الطبعـــة الأولي ١٤٢٣هـــ .
(١٨) تفسير جزء عم – ابن عثمين – دار الثريا .
(١٩) تفسير البحر المحيط – أبو حيان الأندلسي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعـــة الأولي ١٤١٣هـــ .
(٢٠) تفسير حدائق الروح والريحان – الهرري .
(٢١) تفسير الطبري – ابن جرير – دار ابن الجوزي – القاهرة .
(٢٢) تفسير القاسمي – محمد جمال الدين – دار الكتب العلمية .
(٢٣) تفسير القرآن لأبي المظفر السمعاني .
(٢٤) تفسير القرآن العظيم – السخاوى– دار النشر للجامعات – القاهرة ١٤٣٠هـــ .
(٢٥) تفسير مجاهد – المنشورات العلمية – بيروت .
(٢٦) التفسير المنير – وهبة ألرحيلي – دار الفكر –دمشق الطبعة العاشرة ١٤٣٠هـــ .
(٢٧) التفسير الكبير – الفخر الرازي – دار الكتب العلمية – طهران – الطبعة الثانية .
(٢٨) التفسير الموضوعي – نخبة من العلماء – جامعة الشارقة – الطبعة الأولي ١٤٣١هـــ .
(٢٩) تفسير النسفي– الأمام النسفي – دار الكتب العلمية – بيروت .
(٣٠) تفسير وبيان مفردات القران – الحمصى – مؤسسة الأيمان .
(٣١) التفسير الوسيط – وهبة الحيلى – دار الفكر – دمشق الطبعة الأولي ١٤٢٢هـــ .
(٣٢) حاشية الشهاب – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي ١٤١٧هـــ .
(٣٣) حاشية القونوي علي تفسير البيضاوي – دار الكتب العلميـــة بـــيروت – الطبعـــة الأولي ١٤٢٢هـــ .

(٣٤) جامع الدوري العقدية وشرح العقيدة الطحاوية – مجموعة من العلماء – دار ابن حزم – القاهرة الطبعة الأولي ١٤٣٠هـ .
(٣٥) الجامع لإحكام القران – أبو عبد الله القرطبي – دار أحياء التراث العربي – بيروت ١٩٦٦م
(٣٦) دراسات في التفسير الموضوعي – أحمد جمال العمري – مكتبة الخانجي القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٢١هـ .
(٣٧) الدر المنشور – السيوطي – مركز هجر للبحوث – القاهرة – الطبعة الأولي ١٤٢٤هـ .
(٣٨) روح المعاني – دار أحياء التراث العربي – بيروت .
(٣٩) ذات المسير – ابن الجوزي – دار ابن الحزم –بيروت – الطبعة الأولي ١٤٢٣هـ .
(٤٠) سنن ابن ماجة – ابن ماجة – دار الفكر بيروت .
(٤١) سنن الترمذي – أبو عيسي الترمذي – دار الحديث القاهرة .
(٤٢) شرح الأصول الثلاثة – ابن عثيمين – دار الثريا للنشر – الرياض الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ
(٤٣) شرح العقيدة الواسطة – ابن عثيمين – دار ابن الجوزي – الدمام – الطبعة الثانية ١٤١٥هـ .
(٤٤) شرح العقيدة الأصفهانية – شيخ الإسلام ابن تيمه – دار الكتب الإسلامية .
(٤٥) السيرة النبوية – محمد أبو شهية – دار القلم – دمشق – الطبعة الثانية – ١٤١٢هـ .
(٤٦) الصحاح – الجوهري – دار العلم للملايين – بيروت .
(٤٧) صحيح البخاري – دار السلام – الرياض – الطبعة الأولي .
(٤٨) صحيح مسلم – الإمام مسلم – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولي ١٤١٢هـ .
(٤٩) صحيح مسلم – مع الإمام النووي – دار أحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .
(٥٠) صحيح سنن الترمذي – الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الأولي ١٤٠٨هـ .
(٥١) صفوة التفاسير – الصابوني – دار القران الكريم – بيروت – الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ .
(٥٢) ضعيف سنن ابن ماجة – الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ
(٥٣) علم المناسبات في السور والآيات – محمد باز مول .
(٥٤) العلو للعلي الغفار – شمس الدين الذهبي – مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولي ١٤١٦هـ .

(٥٥) فتح القدير – الشوكانى دار الفكر – بيروت الطبعة الأولي ١٤١٢هـ .
(٥٦) الكشاف – الزمخشري – مكتبة العبيكان – الطبعة الأولي ١٤٣٠هـ .
(٥٧) اللباب في علوم الكتاب – ابن عادل الحنبلي – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤١٩هـ .
(٥٨) لسان العرب – ابن منظور .
(٥٩) مباحث في التفسير الموضوعي – مصطفي مسلم – دار القلم – دمشق .
(٦٠) مباحث في علوم القران – مناع القطان – مؤسسة الرسالة ط ١٢ سنة ١٤٠٣هـ .
(٦١) متن القصيدة النونية – ابن القيم – مكتبة ابن تيمه – القاهرة – الطبعة الأولي ١٤١٥هـ .
(٦٢) المحرر الوجيز – ابن عطية الأندلسي – دار الخير – بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ .
(٦٣) مختار الصحاح – الرازي .
(٦٤) المدخل لدراسة القران الكريم – محمد أبو شهبه – دار اللواء – الرياض – الطبعة الثالثة ١٤٠٧ .
(٦٥) المدخل في التفسير الموضوعي – د: عبد الستار سعيد – دار الطباعة والنشر الإسلامية .
(٦٦) مسند الإمام احمد – دار الدعوة .
(٦٧) مصنف ابن أي شيبه – أبو بكر أبن أبي شيبه – الدار السلفية .
(٦٨) معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسني – دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولي ١٤١٧هـ .
(٦٩) معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – اتحاد الكتاب العربي – طبعة ١٤٢٣هـ .
(٧٠) المعجم الوسيط – مجموعة مؤلفين – دار الدعوة .
(٧١) معجم القراءات – د: عبد اللطيف الخطيب .
(٧٢) مفردات ألفاظ القران – الراغب الأصفهاني – دار القلم – دمشق – الطبعة الأولي ١٤١٢هـ .
(٧٣) مقدمة في أصول التفسير – شيخ الإسلام ابن تيميه – دار مكتبة الحياة – بيروت ١٩٨٠م
(٧٤) مناهل ألوفان – محمد عبد العظيم الزرقانى – دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولي ١٤٠٩هـ .

(٧٥) منهاج السنة النبوية – شيخ الإسلام ابن تيميه – مؤسسة قرطبة – الطبعة الأولي ١٤٠٦هـ
(٧٦) منهج دراسات لآيات الأسماء والصفات – محمد الأمين الشنقيطي – مؤسسة مكة – توزيع الجامعة الإسلامية .
(٧٧) مواقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات – د: محمد خليفة التميمي – أضواء السلف الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ .
(٧٨) موقف المسلم من الفتن – أبو أنس الحازمي – أضواء السلف – الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ .
(٧٩) نظم الدور في تناسب الآيات والسور – الإمام ألبقاعي – دار الكتب الإسلامي – القاهرة الطبعة الثانية .
(٨٠) الوجوه والنظائر في القران – القرعاوي – مكتبة الراشد – الرياض – الطبعة الأولي ١٤١٠هـ .
(٨١) الوسيط في تفسير القران المجيد – الو احدي – دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الأولي ١٤١٥هـ .
(٨٢) نقض تأسيس الجمعية – شيخ الإسلام ابن تيميه – مطبعة الحكومة – مكة المكرمة .

فهرس الموضوعات